# الاغتراب بين أبى فراس والمعتمد بن عباد

دراسة وموازنة

دكـــتور
عمر عبد العزيز الحسينى
مدرس الأدب والنقد
بجامعة الأزهر

## مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين.... والصلاة والسلام على رسول الله... وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد .....

فقد كثر فى الشعر العربى القديم والحديث الأشعار التي تعبر عن آلام الغربة والبعد عن الأهل والأحباب، والمواطن والديار، واختلفت منابع هذه التجارب ما بين اغتراب قهرى (السجن أو النفى أو الأسر...) واغتراب نفسى.

وقد تخيرت شاعرين عانا تجربة الأسر، وفاض ديوان كل منهما بالأشعار التي تعبر عن قسوة الاغتراب، الأول هو الشاعر الفارس أبو فراس الحمدانى، ابن عم سيف الدولة الحمدانى أمير دولة بنى حمدان فى حلب والموصل، والآخر: الشاعر المعتمد بن عباد ملك أشبيلية فى عصر ملوك الطوائف بالأندلس، فكلاهما شاعر ذائع الصيت فى عصره، وهما يجتمعان فى خصائص مشتركة (المُلك والإمارة، والشاعرية، ونفس الفارس الحر الأبى...) وقد تعرضا لمحنٍ كان لها أثر بعيد فى نفسيهما، وعبرا عنها بأشعار تفيض حزناً ومرارة، من هنا سعى البحث للموازنة بينهما، فى محاولة للكشف عن موطن الاختلاف بين تجربة كل منهما رغم التقارب الشديد فى المحنة التي عاناها(الأسر والسجن).

وقد قُسم البحث إلى تمهيد ودراسة موضوعية وفنية تستجلى أهم الأسس والظواهر والعناصر الموضوعية لشعر الاغتراب عندهما وكان أهم هذه الأسس: الفخر، والصبر والتحمل، والشكوى، والاستنجاد.

أما الأسس الفنية فقد تناولت الألفاظ والأساليب والصورة الشعرية والموسيقى الشعرية، محاولاً الكشف عن أصداء التجربة والعاطفة فى هذه العناصر الفنية ، وكيف توجهت الألفاظ والصور تبعاً لهذا الأثر النفسى لدى كل منهما، مبيناً من خلال ذلك ملامح الاتفاق والاختلاف بينهما، ومواطن تفوق أحدهما على الآخر.

ثم أعقبت ذلك بخاتمة تتضمن أهم نتائج البحث وثبتاً للمراجع.

هذا والله أسأل أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم،

إنه على ما يشاء قدير.

## تمهيد

تعد تجربة الأسر إحدى منابع شعر الاغتراب الذى شاع فى الشعر العربى، والاغتراب من أهم المشاعر ذات التأثير النفسى البعيد الأغوار فى نفس الشاعر والقارئ على حد سواء ؛وذلك لأنه ينبع من عاطفة ملتهبة وتجربة صادقة فنيا وواقعياً، وهذا هو سر التواصل النفسى الذى ينبع من المعانى الإنسانية.

والاغتراب ظاهرة إنسانية عامة لا ينفرد بها جيل دون سواه، وهذا ينبع من أن الشعراء دائماً ما تكون لهم رؤية رافضة للواقع، مما يستتبع ذلك بعض المشكلات التى تؤدى إلى تولد الاغتراب الشعورى أو النفسى والواقعى، " وليس كالاغتراب شىء يزيد من حنين الإنسان إلى وطنه وتعلقه به" (١).

والاغتراب فى المدلول اللغوى لا يختلف عنه فى المفهوم الأدبى، فكلمة (اغترب) تعنى المفارقة والارتحال للمكان الذى يأنس به الإنسان(٢)، والإنسان حين يتعرض للاغتراب تتعرض نفسه لحالة من الانقطاع عن العالم حوله.

وقد امتاز شعر الاغتراب . غالباً- بصدق العاطفة، وأصالة التجربة فى الديوان العربى " فنحن لا نكاد نعرف أمة مجدت أوطانها وقدستها وحنت إليها على البعد وفنيت فى حبها والوفاء لها مثل ما كان من الأمة العربية، فالارتباط بالأرض عندها هو ارتباط التاريخ والمصير، وعاطفة الوطنية فى وجدانها عاطفة قوية مشبوبة يذكيها البعد ويؤججها الاغتراب " (٣)

وقد لاحظ النقاد أن الاغتراب يأتى على نوعين: الأول:مكانى والثانى: نفسى، وكشفوا عن أن هناك دوافع وراء الاغتراب المكانى، كالبحث عن الرزق مثلما يفد الشعراء إلى الملوك لطلب العطايا كما هو الحال عند أبى تمام والبحترى والمتنبى، والغالب فى مثل هذه التجارب أن تمتلئ بالحزن لفراق الأهل والسخط على الدهر الذى دفعه لمفارقة أهله، فها هو المتنبى يقول:

---

(١) الأدب العربى بالأندلس د/ عبد العزيز عتيق ص ٢٧٣ دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة (غرب) طبعة دار المعارف

(٣) حركة التجديد الشعرى فى المهجر بين النظرية والتطبيق.د/عبد الحكيم بلبع. ص٢٣٣ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠م.

**عيدٌ بِأَيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيـد بِما مَضى أَم بِأَمرٍ فيكَ تَجديـدُ**
**أَمّا الأَحِبَّةُ فَالبَيـداءُ دونَهُـمُ فَلَيتَ دونَكَ بيداً دونَهـا بيدُ**[1]

وها هو ابن الرومى يقول:

**ولي وطـــنٌ آليـــت ألا أبيعَـهُ وألا أرى غيري له الدهرَ مالكا**[2]

بل وتختلف هذه النوعية من التجارب أيضا من حيث الإحساس بالذات وعلو الهمة، فيرى المغترب فى رحلته طلباً للمعالى، وطمعاً فى مغانم لا تقتصر على المال، وإنما تتخطاها إلى الشهرة وذيوع الصيت، وقد يكون الاغتراب بدافع التعلم، وهنا تسمو الغاية بالتجربة فتدفعها لأن تكون ذات بُعد جليل القدر عظيم المنفعة، فتتسم العاطفة بالتعبير عن لذة المشقة وحلاوة الجهد فى سبيل العلم، فنرى الإمام الشافعى يعبر عن هذا المعنى قائلا:

**سافِرِ تَجِد عِوَضاً عَمَّن تُفارِقُـهُ وَانصَب فَإِنَّ لَذيذَ العَيشِ في النَصَبِ**
**إِنّي رَأَيتُ وُقوفَ المـاءِ يُفسِدُهُ إِن ساحَ طابَ وَإِن لَم يَجرِ لَميَطِبِ**
**وَالأُسد لَولا فِراقُ الأَرضِ ماافتَرَسَت وَالسَهمُ لَولا فِراقُ القَوسِ لَم يُصِب**[3]

وقد تكون الرحلة بسبب الجهاد، وهى غاية سامية تضفى بظلالها على عاطفة الشاعر، فالحنين إلى الوطن فيها يكون تشوقا إلى ذكريات سعيدة ومرابع بديعة عاش فى ظلالها الشاعر بين أهله وذويه، فتمتلئ هذه النوعية من التجارب بالرغبة والتلهف للعودة إلى الديار والأهل، كما تمتاز بالفخر والعزة، والتعبير عن علو القدر وشموخ الهمة، فنرى أبا محجن الثقفى وكان حبيساً عند سعد بن أبى وقاص فى حرب القادسية لشربه الخمر، فيعبر عن اغترابه لعدم مشاركته فى المعركة فيقول:

**كفى حَزَناً أن تُطعَنَ الخيلُ بالقَنا وأُصبِحَ مَشدوداً عليَّ وَثَاقيا**
**وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ فأصبحتُ منهم واحداً لا أخا ليا**
**فللّه درّي يوم أُتـرَكُ مُـوثَقاً وتذهلُ عني أُسرتي ورجاليا**[4]

---

(١) ديوان المتنبى ٣٩٦/٢ طبعة صادر

(٢) ديوان ابن الرومى ١٨٢٥/٥ تحقيق د/حسين نصارطبعة دار الكتب الطبعة الثالثة م٢٠٠٣

(٣) ديوان الإمام الشافعى ص٢٩ طبعة دار المنار ١٤١٠هـ ١٩٩٠م

(٤) ديوان أبى محجن الثقفى، صنعه أبى هلال العسكريتقديم د/ صلاح الدين المنجد ص ٣٧، ٣٨ طبعة دار الكتاب الجديد بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م

والملاحظ أن هذه الأنواع من التجارب نابعة من مصدر اختيارى، قصد الشاعر إليه بنفسه، ولم تكن هناك قوة توجهه، وهناك نوع آخر قهرى يفرض على الشاعر حينما يكون سجيناً أو أسيرا كما سيتضح بعد.

أما الاغتراب النفسى فهو أشد قسوة من الاغتراب المكانى وقد أشار (هيجل) إلى هذا الاغتراب النفسى فقال:"إن المعنى الإيجابى للاغتراب يتمثل فى انفصال الروح وانقطاعها عما حولها على جميع المستويات، بحيث تتجلى هذه الرؤى بشكل إبداعى متميز، أما المعنى السلبى فيتمثل فى عدم قدرة المغترب على استكشاف ذاته وانصهارها مع الأشياء والمخلوقات"(١)

وقد ينشأ الاغتراب نتيجة الخلل الطبقى فى المجتمع، مما قد يدفع الشاعر إلى العزلة النفسية، وكثيراً ما رأينا شعراء انعزلوا عن واقعهم وعاشوا فى أبراجهم العاجية بعيداً عن الناس، وقد ينتج هذا اللون من الاغتراب عن فراق الأحبة، فيحس الشاعر بالانكسار وانقطاع العلاقة بينه وبين الناس، فيغترب بشعوره ووجدانه عن الناس، فها هو مجنون ليلى يعانى آلام الهجر فيقول:

**وأخرج من بين البيوت لعلنى أحدث عنك النفس بالسر خاليا**(٢)

وقد يكون الاغتراب ناشئ عن مصادرة الحريات، وكبت رغبات الشاعر فياتى شعره زفرة حارقة فى سماء هذه الحياة الخانقة.

وهذا اللون من ألوان الاغتراب النفسى ينبع من خصوصية الروح التى يتسم بها الشعراء فـ" أعصاب البشر تحت جلودهم أما الشعراء فأعصابهم فوق جلودهم، ولذلك كانت استجاباتهم تحمل أكبر قدر من الانفعال باللحظة الراهنة لأى المؤثرين: الألم والفرح"(٣)

هذه هى أهم الدوافع التى تنبع منها تجارب شعر الاغتراب، ولابد من الإشارة إلى أن هذه التجارب تختلط فيها العواطف، وهنا تتشابه المعانى مع شعر الرثاء، وكأن الشاعر يرثى نفسه وما وصل إليه حاله من انكسار، ولعل أظهر

(١) الاغتراب سيرة ومصطلح. محمود رجب. ص١١ طبعة دار المعارف سنة ١٩٨٦م بتصرف.

(٢) ديوان قيس بن الملوح رواية أبي بكر الوالبي دراسة وتعليق يسري عبدالغني ص ١٢٥ طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولي ١٤١٠هـ /١٩٩٠م

(٣) الشعر بين الرؤيا والتشكيل د/ عبد العزيز المقالح ص ٢٦ دار العودة بيروت.

صورة لهذا مراثى الشعراء لأنفسهم فهذه المراثى صورة من شعر الاغتراب وإن بدت رثاءً.

وقد تعرض شاعران من أبرع شعراء العربية لتجربة الاغتراب القهرى عن طريق الأسر، الأول:الشاعر العباسى أبو فراس الحمدانى[1] فارس بنى حمدان وشاعرهم المقدم وابن عم وصهر الملك سيف الدولة الحمدانى صاحب المتنبى.

والآخر:الشاعر الأندلسى المعتمد بن عباد [2] ملك أشبيلية فى عصر ملوك الطوائف بالأندلس، فقد أسر أبو فراس فى إحدى المعارك بين الروم ودولة بنى

(١) هو: أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني (٣٢٠-٣٥٧هـ)ابن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابني حمدان قال الثعالبي في وصفه: كان فرد دهره، وشمس عصره، أدباً وفضلاً، وكرماً ومجداً، وبلاغة وبراعة، وفروسية وشجاعة، وشعره مشهور سائر، بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة، ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك، ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقدة الكلام. وكان الصاحب بن عباد يقول: بدئ الشعر بملك وختم بملك، يعني امرأ القيس وأبا فراس. وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترئ على مجاراته، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً لا إغفالاً وإخلالاً. وكان سيف الدولة يعجب بمحاسن أبي فراس ويميزه بالإكرام على سائر قومه ويستصحبه في غزواته، وكانت الروم قد أسرته في بعض وقائعها، وهو جريح قد أصابه سهم بقي نصله في فخذه، ونقلته إلى خرشنة، ثم منها إلى القسطنطينية، وذلك في سنة ثمان وأربعين وثلثمائة، وفداه سيف الدولة في سنة خمس وخمسين وثلثمائة، وترك الأسر فى نفسة أثراً بالغا، وأبدع من خلاله دررا من القصائد الشعرية والتى صارت علامة مميزة فى الشعر العربى عرفت بالروميات " يراجع وفيات الأعيان لابن خلكان تحقيق د إحسان عباس٢/٥٨ طبعة دار صادر بيروت. والعمدة لابن رشيق

(٢) هو: المعتمد على الله أبو القاسم محمد بن المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن الظافر المؤيد بالله أبي القاسم محمد قاضي إشبيلية بن أبي الوليد إسماعيل بن قريش بن عباد بن = =عمرو بن أسلم بن عمرو بن عطاف بن نعيم، اللخمي من ولد النعمان بن المنذر اللخمي آخر ملوك الحيرة؛(٤٣١-٤٨٨هـ) كان المعتمد صاحب قرطبة وإشبيلية وما والاهما من جزيرة الأندلس. قال ابن بسام في "الذخيرة": وللمعتمد بن عباد شعر كما انشق الكمام عن الزهر، لو صدر مثله عمن جعل الشعر صناعة واتخذه بضاعة، لكان رائقاً معجباً ونادراً مستغرباً، وكان المعتمد بن عباد أكبر ملوك الطوائف وأكثرهم بلاداً. وكان يؤدي الضريبة للأذفونش، فلما ملك طليطلة لم يقبل ضريبة المعتمد طمعاً في أخذ بلاده، وأرسل إليه يتهدده ويقول

حمدان ممن كانوا يقومون على حدود الدولة الإسلامية ضد الروم، وظل يعانى مرارة الأسر، وصور ذلك فى رومياته التى صورت دقيق المشاعر لهذه التجربة القاسية.

أما الآخر :فقد عاش مفارقات الزمن، وتضادات الواقع بين حياة المُلك الرغيد العيش، والسلطان والمجد الأثيل، وبين قسوة الحياة فى غياهب السجون وما يصاحبه من ذل ومهانة، وسوف يوضح البحث الفرق بين التجربتين وكيف عالجاها حسب تصورهما كملكين من ملوك العرب.

---

له: تنزل عن الحصون التي بيدك ويكون لك السهل: فضرب المعتمد الرسول وقتل من كان معه، فبلغ الخبر للأذفونش وهو متوجه لحصار قرطبة فرجع إلى طليطلة لأخذ آلات الحصار. فكتب المعتمد إلى أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ملك الملثمين صاحب مراكش يستنجده، فلما وصله خرج مسرعاً لقتالهم وانتصر المسلمون وهرب الأذفونش بعد استئصال عساكره وثبت المعتمد في ذلك اليوم ثباتاً عظيماً، ورجع الأمير يوسف إلى بلاده وقد جعل خواص الأمير يوسف يعظمون عنده بلاد الأندلس ويحسنون له أخذا، ويوغرون قلبه على المعتمد بأشياء نقلوها عنه فتغير عليه وقصده، فوصل إلى إشبيلية وبها المعتمد فحاصره أشد محاصرة، ولما أخذ المعتمد قيدوه من ساعته، وجعل مع أهله في سفينة ثم إنهم حملوا إلى الأمير يوسف بمراكش، فأمر بإرسال المعتمد إلى مدينة أغمات، واعتقله بها ولم يخرج منها إلا على الممات، ٤٨٨هـ" يراجع وفيات الأعيان لابن خلكان ٢١/٥ الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام١١٥/٢ بتصرف

# الفصل الأول
# الاغتراب بين أبى فراس والمعتمد رؤية موضوعية

تعددت أصداء الغربة فى شعر أبى فراس تعدداً واضحاً، كما اتسمت بسمات فنية مميزة جعلت منها علامة إبداعية مميزة فى شعره بل وفى الشعر العباسى والعربى بأكمله، حتى سميت بالروميات، ففى هذه التسمية تتجلى لنا أبعاد الاغتراب المكانى واضحة، فاقترنت التسمية بالمكان الموحش فى بلاد الروم، فقد كان لهذه السنوات التى قضاها الشاعر أسيراً فى بلاد الروم . وهو الملك العزيز، والعربى صاحب المنبت الأثيل، والفارس الذى لا يشق له غبار . أثرها البالغ فى تشكيل أنواع شتى من التجارب وإظهار نواحى مختلفة من العواطف التى كثيراً ما تتضارب بفعل الضغط النفسى الذى يتعرض له الشاعر، من هنا تعددت مظاهر الروميات تبعاً لنوعية العاطفة عند أبى فراس، ورغم قسوة تجربة الأسر فى جميع مستوياتها إلا أن هذه التجربة أظهرت صورا تعبيرية متعددة وفنوناً شعرية مختلفة كالمديح والفخر والنسيب والرثاء والوصف، وكل هذه الأغراض اصطبغت بروح التجربة القاسية التى يعانيها، فأعطت هذه الروح لهذه الفنون صبغة خاصة عما كان مألوفا فى الشعر العربى.

أما المعتمد فقد كانت تجربته قاسية مؤلمة لا تتعلق بنفسه الأسيرة ولا ملكه الزائل فحسب، بل أخذت هذه التجربة منحى أكثر عمقاً فى تصوير آلامه حين رأيناه يصور ما صارت إليه بناته من خزى وندامة وانكسار، فكانت تجربته . هو الآخر . قوية فى تصوير الألم، لذا تعددت مظاهر الرؤية الموضوعية النابعة من هذه التجربة، وسوف يتناول البحث هذه الموضوعات بين الشاعرين، مع الكشف عن مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما.

## أولاً:الفخر

### أ. عند أبى فراس

يختلف الأثر الناشئ عن تجربة الأسر فى نفس كل إنسان حسب طبيعته النفسية والاجتماعية، ونحن الآن أمام ملك عرف بأصله الشريف، ومنبته الرفيع وعز قومه الأثيل، ليس فى الإسلام فحسب وإنما فى الجاهلية حيث يرجع نسبه

إلى قبيلة تغلب وهم الذين قيل فيهم:" كانت بنو تغلب ابن وائل من أشد الناس في الجاهلية. وقالوا: لو أبطأ الإسلام قليلاً لأكلت بنو تغلب الناس" (١) وفى الوقت نفسه هو فارس مقدام، وبطل مغوار، خاض المعارك منذ صغره، فتربى والسيف أنيسه، والقوس جليسه، والرمح رفيقه، والخيل تصحبه فى حله وترحاله، وهو شاعر يتسم بالحس المرهف، والمشاعر الرقيقة، والقدرة على التحليق بخيالاته فى سماء الشعر، كل هذا لابد أن يطبع أثره البين على رومياته، فتتجلى ملامح الفخر والعزة، وإن كان مقيدا فى القيود، "وقد كان الفخر من أهم أغراض أبى فراس، وقد رأيناه يرى الشعر ديواناً يسجل فيه مفاخره ومفاخر أسرته، ولقد كان نضجه فى هذا اللون من القول مبكراً مما يدل على شعوره بمكانة أسرته ومكانته" (٢)، فنراه يذكرنا ببطولاته وأمجاده، وكيف أنه خاض المعارك من قبل بكل قوة وشجاعة، فيقول:

**أَلا هَل مُنكِرٌ يا اِبنَي نِزارٍ مَقامي يَومَ ذَلِكَ أَو مَقالي**
**أَلَم أَثبُت لَها وَالخَيلُ فَوضى بِحَيثُ تَخِفُّ أَحلامُ الرِجالِ**
**تَرَكتُ ذَوابِلَ المُرّانِ فيها مُخَضَّبَةً مُحَطَّمَةَ الأَعالي**
**وَعُدتُ أَجَرُّ رُمحي عَن مَقامٍ تُحَدِّثُ عَنهُ رَبّاتُ الحِجالِ**
**فَقائِلَةٍ تَقولُ أَبا فِراسٍ أُعيذُ عُلاكَ مِن عَينِ الكَمالِ**
**وَقائِلَةٍ تَقولُ جُزيتَ خَيراً لَقَد حامَيتَ عَن حَرَمَ المَعالي**
**وَمُهري لايَمَسُّ الأَرضَ زَهواً كَأَنَّ تُرابَها قُطبُ النِبالِ**
**كَأَنَّ الخَيلَ تَعرِفُ مَن عَلَيها فَفي بَعضٍ عَلى بَعضٍ تُعالي**
**عَلَينا أَن نُعاوِدَ كُلَّ يَومٍ رَخيصٍ عِندَهُ المُهَجُ الغَوالي**
**فَإِن عِشنا ذَخَرناها لأُخرى وَإِن مُتنا فَمَوتاتُ الرِجالِ** (٣)

(١) خزانة الأدب. للبغدادى ٢/٩٠

(٢) شاعر بنى حمدان د/أحمد بدوى ص ١٠٤مطبعة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية سنة١٩٥٢م

(٣) ديوان أبو فراس شرح وتقديم عباس عبد الساتر ص ١٢٨، ١٢٩ طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م

إنه يذكرنا بيوم من أيام بنى حمدان على الروم، وكانوا قد أغاروا على بلاد الشام، فلحق بهم سيف الدولة، وألحق بهم الأذى الكثير، وكان لأبى فراس دور بارز فى هذا الأمر، فيتباهى بأفعاله التى لا ينكرها أى إنسان، فقد شهدت بشجاعته السيوف والرماح، وربات الحجال ممن دافع عنهن، ولا يقف عند حد وصف نفسه بالقوة، وإنما نرى صورة مصاحبة لهذا المعنى حين نرى الخيل تزهو وتتطاير وكأن حوافرها لا تمس الأرض لشرف من عليها، لذا فقد تعالى الفرس على بنى جنسه لعلمه بقدر فارسه، ثم يعبر عن شجاعته وصموده، فهو ينتظر الموت فى هذه المعركة، فإن لم ياته اليوم فسيأتيه فى المعركة القادمة.

ونراه حين يشتد به الأذى ويتألم من قيود الأسر، يذكر ابن عمه بسالف عهده وبطولاته التى تستحق أن يسعى سيف الدولة لافتدائه، فيقول:

**مَتى تُخلِفُ الأَيّامُ مِثلي لَكُم فَتىً طَويلَ نِجادِ السَيفِ رَحبَ المُقَلَّدِ**
**مَتى تَلِدُ الأَيّامُ مِثلي لَكُم فَتىً شَديداً عَلى البَأساءِ غَيرَ مُلَهَّدِ**
**فَإِن تَفتَدوني تَفتَدوا شَرَفَ العُلا وَأَسرَعَ عَوّادٍ إِلَيها مُعَوَّدِ**
**وَإِن تَفتَدوني تَفتَدوا لِعُلاكُم فَتىً غَيرَ مَردودِ اللِسانِ أَوِ اليَدِ**
**يُدافِعُ عَن أَعراضِكُم بِلِسانِهِ وَيَضرِبُ عَنكُم بِالحُسامِ المُهَنَّدِ**(١)

ففى شدته نراه مفتونا بشجاعته وتفرده بين الناس، فلن تخلف الأيام فتى مثله يدافع عن قومه بيده ولسانه.

وفى إحدى رومياته أيضا يرسم لنا نسجاً شعرياً يصور فيه شجاعته حين يتغزل فى محبوبته التى لم يغلبه حبها على شعور التعالى والغرور والإعجاب بالنفس، فنراه وقد جمع فى نفسه فضائل الرجال العظام شجاعة وصمودا فى المعارك، فلا ينزل على أعدائه دون أن يسبقه إنذار لهم، مما يدل على قوته وثقته بنفسه، ثم إنه يعف عن الغنائم فيقول فى روميته الشهيرة (أراك عصى الدمع..):

**فَلا تُنكِريني يا اِبنَةَ العَمِّ إِنَّهُ لِيَعرِفُ مَن أَنكَرتِهِ البَدوُ وَالحَضرُ**
**وَلا تُنكِريني إِنَّني غَيرُ مُنكِرٍ إِذا زَلَّتِ الأَقدامُ وَاِستُنزِلَ النَصرُ**
**وَإِنّي لَجَرّارٌ لِكُلِّ كَتيبَةٍ مُعَوَّدَةٍ أَن لايُخِلَّ بِها النَصرُ**

(١) ديوان أبو فراس ص٥١، ٥٢

**وَإِنّي لَنَزّالٌ بِكُلِّ مَخوفَــةٍ كَثيرٌ إِلى نُزّالِها النَـظَرُ الشَزرُ**
**فَأَظمَأُ حَتّى تَرتَوي البيضُ وَالقَنا وَأَسغَبُ حَتّى يَشبَعَ الذِئبُ وَالنَسرُ**
**وَلا أُصبِحُ الحَيَّ الخَلوفَ بِغارَةٍ وَلا الجَيشَ مالَم تَأتِهِ قَبلِيَ النُذُرُ**
**وَيارُبَّ دارٍ لَم تَخَفني مَنيعَـةٍ طَلَعتُ عَلَيها بِالرَدى أَنا وَالفَجرُ**
**وَحَيٍّ رَدَدتُ الخَيلَ حَتّى مَلَكتُهُ هَزيماً وَرَدَّتني البَراقِعُ وَالخُمرُ**
**وَساحِبَةِ الأَذيالِ نَحوي لَقيتُها فَلَم يَلقَها جافي اللِقاءِ وَلا وَعرُ**
**وَهَبتُ لَها ما حازَهُ الجَيشُ كُلَّهُ وَرُحتُ وَلَم يُكشَف لأبياتِها سِترُ**
**وَلا راحَ يُطغيني بِأَثوابِهِ الغِنى وَلا باتَ يَثنيني عَنِ الكَرَمِ الفَقرُ**
**وَما حاجَتي بِالمالِ أَبغي وُفورَهُ إِذا لَم أَفِر عِرضي فَلا وَفَرَ لوَفرُ**(١)

والأبيات توضح لنا جانباً مهماً من صفات أبى فراس، فهو الأمير الفارس الشاعر الذى اجتمع فيه النسب الرفيع والشجاعة، ورغم أنه وصف نفسه بالشجاعة على عادة السابقين فلا يختلف عنهم كثيراً فى عباراته حين يقول:

**فَأَظمَأُ حَتّى تَرتَوي البيضُ وَالقَنا وَأَسغَبُ حَتّى يَشبَعَ الذِئبُ وَالنَسرُ**

وهو من قول عنترة:

**يخبرك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم**(٢)

فبيت عنترة يمتاز بالسبق والإيجاز ومطلق العفة، أما بيت أبى فراس فقد يفهم منه أنه ينال شيئاً من الغنائم بعدما يأخذ الجميع، فَأَظمَأُ حَتّى تَرتَوي... فإن ارتوت أخذ منها، أما عنترة فقد تعفف مطلقاً، كما أن فى أبياته بعضاً من التناقض فيقول:

**وَلا أُصبِحُ الحَيَّ الخَلوفَ بِغارَةٍ وَلا الجَيشَ مالَم تَأتِهِ قَبلِيَ النُذُرُ**

ثم يقول بعده: **وَيارُبَّ دارٍ لَم تَخَفني مَنيعَةٍ طَلَعتُ عَلَيها بِالرَدى أَنا وَالفَجرُ**

فكيف ينذر أعدائه ثم يباغتهم مع الفجر ؟! ولعل مما يبرر هذا التناقض أن الصورة الأولى ترسم قوته واستصغاره لأعدائه والثانية ترسم أثر هذه القوة، يدلل على هذا أن صورة أنا والفجر تحمل بعداً عميقاً وجميلاً فى تصوير القوة التى لا

(١) ديوان أبو فراس ص٦٥، ٦٦
(٢) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر الأنبارى ص ٣٤٤ دار المعارف

تقهر، وأنه قد غدا لهم نوراً بعدما عاشوا فى ظلماتهم التى هى أشبه بظلمات الليل يعقبها الفجر.

ورغم أنه فى أسره يعانى ذل الحبس وقسوة الحرمان، إلا أنه دائم الذكر لعز قومه، والفخر بهم وبمجدهم الباذخ ونسبهم العريق، يقول:

**رَفَعتُ عَلى الحُسّادِ نَفسي وَهَل هُمُ وَما جَمَعوا لَو شِئتُ إلا فَرائِسُ؟**
**أَيُدرِكُ ما أَدرَكتُ إِلا اِبنُ هِمَّـةٍ يُمارِسُ في كَسبِ العُلا ما أُمارِسُ؟**
**يَضيقُ مَكاني عَن سِوايَ لأَنَّني عَلى قِمَّةِ المَجدِ المُؤَثَّلِ جالِسُ**
**سَبَقتُ وَقَومي بِالمَكارِمِ وَالعلا وَإِن رَغِمَت مِن آخَرينَ المَعاطِسُ**(١)

وتتجلى ملامح التعالى والزهو بالقوة فى رؤيته لأعدائه بأنهم فرائس لو شاء أهلكهم وقضى عليهم، ولأنه سلك فى طريق المعالى مسلكاً وعراً، فالأيام تضيق عن أن تضم فضائله هو وقومه، وهذا من المبالغات التى تكشف عن عصبية قبلية جاهلية، لذا فهو يرى أن سلطان بنى حمدان إرثاً يتوارثه الأبناء، يقول:

**وَلِلوُرّاثِ إِرثُ أَبي وَجَدّي جِيادُ الخَيلِ وَالأَسَلِ الطِوالِ**(٢)

وإحساس الشاعر بالتفرد يملأ فكره ويشغل كل أحاديثه، فيقول:

**وَلا أَنا مِن كُلِّ المَطاعِمِ طاعِمٌ وَلا أَنا مِن كُلِّ المَشارِبِ شارِبُ**
**وَلا أَنا راضٍ إِن كَثُرنَ مَكاسِبي إِذا لَم تَكُن بِالعِزِّ تِلكَ المَكاسِبُ**
**وَلا السَيِّدُ القَمقامُ عِندي بِسَيِّدٍ إِذا اِستَنزَلَتهُ عَن عُلاهُ الرَغائِبُ**(٣)

يكشف أبو فراس فى الأبيات عن الخيط الدقيق بين المكاسب التى تتحقق عن طريق السلب والنهب مما يفعله قطاع الطريق وصعاليك البادية، وما يفعله السادة من بناء الحضارات والملك، فشتان بينها وبين أفعال السفلة.

وصورة العز والشرف التى وصف الشاعر بها نفسه نابعة من معانى الجاهلية، وطريقة الزهو فيها لا تختلف كثيراً عن طريقة عمرو بن كلثوم حين، يقول:

(١) ديوان أبو فراس ص١٠٥
(٢) السابق ص١٢٧
(٣) السابق ص ٢٥

**إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا أن نقر الـذل فينا**[١]

وتتبدى لنا ملامح فخر الشاعر بنفسه حين يجمع الصفات التى تجعله أعلى قدماً وأرقى نسبا من هؤلاء السفلة من الروم الذين أسروه، فيقول:

**صَبورٌ وَلو لَم تَبقَ مِنّي بَقِيَّةٌ قَؤولٌ وَلَو أَنَّ السُيوفَ جَوابُ**
**وَقورٌ وَأَحداثُ الزَمانِ تَنوشُني وَلِلمَوتِ حَولي جيئَةٌ وَذَهابُ**
**وَأَلحَظُ أَحوالَ الزَمانِ بِمُقلَةٍ بِها الصُدقُ صِدقٌ وَالكِذابُ كِذابُ**
**بِمَن يَثِقُ الإِنسانُ فيما يَنوبُهُ وَمِن أَينَ لِلحُرِّ الكَريمِ صِحابُ**
**وَقَد صارَ هَذا الناسُ إلا أَقَلَّهُم ذِئاباً عَلى أَجسادِهِنَّ ثِيابُ** [٢]

فقد كان للأسر أثره البين على نفسيته، فحين يصف نفسه بالصبر وبلاغة القول وشجاعة القلب والوقار، نراه لا يثق فى أصدقائه، وذلك فى استفهامه التعجبى المؤثر الذى يرسم أجواء المعنى وتجربة الأسر، فيقول:وَمِن أَينَ لِلحُرِّ الكريمِ صِحابُ؟وهو استفهام يكشف عن أصداء الأسر فى نفسه، فقد بلغ به الأمر إلى الدرجة التى رأى من أسروه كلاباً، والعجب أنها تتحكم فى الأسود. يقصد نفسه .

وروافد الفخر عند أبى فراس ليست روافد شخصية بقدر ما هى روافد أسرية، فلا ينسى أن يذكرنا- والقيود تكبل رجليه - بأهله وذويه، خاصة سيف الدولة، وهو استعطاف مستتر لا تقوى عليه إلا عاطفة ملك تفيض حتى منتهاها بالعزة والكرامة، وإذا ما استعطف سيف الدولة فى قصيدته التى يعبر فيها عن إهماله له فى الأسر نراه يقول:

**زَمانِيَ كُلَّهُ غَضَبٌ وَعَتبُ وَأَنتَ عَلَيَّ وَالأَيّامُ إِلبُ**
**وَعَيشُ العالَمينَ لَدَيكَ سَهلٌ وَعَيشي وَحدَهُ بِفَناكَ صَعبُ**[٣]

فهو يستعطف ابن عمه بأسلوب يغلب عليه التعالى والترفع، ثم يتلو هذا بأبياته التى تتسم بالفخر، فلا تنفصل فيه ذاته عن ذات سيف الدولة، فيقول:

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر الأنبارى ص ٤٢٥
(٢) ديوان أبو فراس ص ٢٥
(٣) السابق ص ٢١

جَنانِيَ ما عَلِمتَ وَلي لِسانٌ يَقُدُّ الدَرعَ وَالإِنسانَ عَضبُ
وَزَندي وَهوَ زَندُكَ لَيسَ يَكبو وَناري وَهيَ نارُكَ لَيسَ تَخبو
وَفَرعي فَرعُكَ السامي المُعَلّى وَأَصلي أَصلُكَ الزاكي وَحَسبُ
لِإِسمَعيلَ بي وَبَنيهِ فَخرٌ وَفي إِسحَقَ بي وَبَنيهِ عُجبُ
وَأَعمامي رَبيعَةُ وَهيَ صَيدٌ وَأَخوالي بَلَصفَرَ وَهيَ غُلبُ
وَفَضلي تَعجِزُ الفُضَلاءُ عَنهُ لِأَنَّكَ أَصلُهُ وَالمَجدُ تِربُ (١)

فعناصر الترابط الشعورى فى نفس أبى فراس تفيض عن آخرها، وكأنه لا يستعطف شخصاً ما، وإنما يخاطب نفسه، فنراه يؤكد دلائل هذا الشعور بخيوط نسيج شعرى مشرق بالفخر فى موقف الاستعطاف حين يقول: "زندى زندك... نارى نارك... فرعى فرعك...أصلى أصلك " ويمتد هذا الخيط الشعورى فى نفس أبى فراس حين يزهو بنفسه وبنسبه الرفيع هو وسيف الدولة.

وظروف الأسر قد تستدعى بعض الانكسار النفسى فى نفس الأسير، وحينئذ تخبو معالم الفخر، وإن كان فى سالف عهده مفتخراً، لكننا أمام شخصية صامدة جديرة بأن تتحدى المصاعب، ولا يخطر ببال أحد أنها تستسلم حتى ولو كثر اللوام والعاذلون، ولاعجب فهو أبو فراس الشجاع الصلب الذى لا يقهر، يقول:

وَهَل يَدفَعُ الإِنسانُ ماهُوَ واقِعٌ وَهَل يَعلَمُ الإِنسانُ ماهُوَ كاسِبُ؟
وَهَل لِقَضاءِ اللَهِ في الناسِ غالِبٌ وَهَل مِن قَضاءِ اللَهِ في الناسِ هارِبُ؟
عَلَيَّ طِلابُ المَجدِ مِن مُستَقِرِّهِ وَلا ذَنبَ لي إِن حارَبَتني المَطالِبُ
وَهَل يُرتَجى لِلأَمرِ إِلا رِجالُهُ وَيَأتي بِصَوبِ المُزنِ إِلا السَحائِبُ؟
وَعِندِيَ صِدقُ الضَربِ في كُلِّ مَعرَكٍ وَلَيسَ عَلَيَّ إِن نَبَونَ المَضارِبُ (٢)

فأبوفراس يعطينا تعليلاً قدرياً للأسر الذى وقع فيه، فقد جعل الأمر- المصائب كالأسر- قضية أزلية إنسانية لا مفر منها، ولا يدفع إليها إلا من دفعته همته إلى تحمل عظائم الأمور، وخوض غمرات المعارك، فلم تدعه نفسه إلى الهرب، لذا

(١) السابق ص ٢١، ٢٢
(٢) ديوان أبو فراس ص٢٤

رأيناه يستخدم أسلوباً منطقياً يجعل السامع يقر بحقيقة الواقع وفرضيته اللازمة، مما يجعلنا نرسم صورة سامية، فلا تنحدر فيها همته، وهو الذى (يصِدقُ الضَربِ في كُلِّ مَعرَكٍ)

وتتعدد مظاهر الفخر عند أبى فراس رغم شدة البلوى وقسوة الألم وامتداد الزمن وفظاظة القيود، فنراه يعطينا صوتاً متعالياً وروحاً متسامية، فيفخر بتحمله وصبره الذى يكشف عن همة فارس شجاع، يقول:

**قَناتي عَلى ما تَعهَدانِ صَليبَةٌ وَعودي عَلى ماتَعلَمانِ صَليبُ**
**صَبورٌ عَلى طَيِّ الزَمانِ وَنَشرِهِ وَإِن ظَهَرَت لِلدَهرِ فِيَّ نُدوبُ**
**وَإِنَّ فَتىً لَم يَكسِرِ الأَسرُ قَلبَهُ وَخَوضُ المَنايا جِدَّهُ لَنَجيبُ**(١)

فنراه يقدم لنا مؤثرات تصويرية رمزية تكشف عن شعوره، فقناته (صلبية) مصلوبة، وجسده شد بالأغلال وكأنه فى وضع المصلوب، وجمعه بينه وبين القناة فى حالة الصلب تكشف عن ترابط وثيق بينه وبين أدوات الحرب، ثم ليبين مدى صلابته هو والرمح معا، وليكشف لنا ثالثاً عن روح نفس فارس لا حياة لها بدون قتال، ولأن الصبر على هذا القيد قد ينبع من روافد متعددة فقد يكون انكساراً وانهزاماً واستسلاماً للأعداء، إلا أنه عند أبىفراس صبر من لا يكسر الأسر قلبه لذا فهو حقاً (نجيب)، هكذا يرى أبو فراس الصبر فخراً، والتحمل فضيلة، ونراه يؤكد هذا المعنى فى قصيدة أخرى، فيقول:

**وَما الأَسرُ مِمّا ضِقتُ ذَرعاً بِحَملِهِ وَما الخَطبُ مِمّا أَن أَقولَ لَهُ قَدي**(٢)

وربما كان من أشد الأمور قسوة عليه خوفه من أن يموت مقيداً بالحديد بأيدى أعدائه، فقد كان يرجو أن يموت على صهوات الجياد، يقول:

**وَلَكِنَّني أَختارُ مَوتَ بَني أَبي عَلى صَهَواتِ الخَيلِ غَيرِ مُوَسَّدِ**
**وَتَأبى وَآبى أَن أَموتَ مُوَسَّداً بِأَيدي النَصارى مَوتَ أَكمُدَ أَكبَدِ**
**نَضَوتُ عَلى الأَيّامِ ثَوبَ جَلادَتي وَلَكِنَّني لَم أَنضَ ثَوبَ التَجَلُّدِ**
**وَما أَنا إلا بَينَ أَمرٍ وَضِدَّهُ يُجَدِّدُ لي في كُلِّ يَومٍ مَجَدَّدِ**

(١) ديوان أبو فراس ص٣٨، ٣٩
(٢) السابق ص٥٠

**فَمِن حُسنِ صَبرٍ بِالسَلامَةِ واعِدي وَمِن رَيبِ دَهرٍ بِالرَدى مُتَوَعَّدي**
**أُقَلِّبُ طَرفي بَينَ خِلٍّ مُكَبَّلٍ وَبَينَ صَفِيٍّ بِالحَديدِ مُصَفَّدِ**(١)

فالشعور بالتجلد والصبر لا يفارق نفسه رغم مايصوره من واقع السجن الأليم، ومما أبدع فى تصويره وساعد على رسم صورة الأسى والحزن، قوله: خِلٍّ مُكَبَّلٍ وَبَينَ صَفِيٍّ بِالحَديدِ مُصَفَّدِ، فالمفارقة الشديدة بين القيود . وهى محل الحزن والألم فى نفسه . والخلان والأصحاب . وهم محل البهجة والأنس . كشفت عن واقع مرير يعيشة الشاعر فى أسره.

ولعل من أهم ملامح فخره تعاليه على أعدائه، وهذا مما يضيف بعداً جديداً لمفهوم الفخر الذى تفيض به نفس أبى فراس، فالأعداء من الروم هم أعداؤه فى المعركة الذين يصرخون تحت أقدام حصانه وحد حسامه، وهم هم الأعداء بذلهم وحقارتهم رغم ما يظنون من قوتهم اليوم، ومن تكبيلهم له بالقيود، فيقول مصوراً قوته وعلو شأنه فى مقابل تفاهتهم وضعفهم:

**إِذا عايَنَتني الرومُ كَفَّرَ صَيدُها كَأَنَّهُمُ أَسرى لَدَيَّ وَفي كَبلي**
**وَأَوسَعُ أَيّاً ماحَلَلتُ كَرامَةً كَأَنِّيَ مِن أَهلي نُقِلتُ إِلى أَهلي**
**فَقُل لِبَني عَمّي وَأَبلِغ بَني أَبي بِأَنِّيَ في نَعماءَ يَشكُرُها مِثلي**
**وَماشاءَ رَبّي غَيرَ نَشرِ مَحاسِني وَأَن يَعرِفوا ماقَد عَرَفتُ مِنَ الفَضلِ**(٢)

فلننظر كيف كانت نفسه عالية الهمة شامخة الإحساس إلى الحد الذى يرى نفسه . وهو الأسير- آسراً لأعدائه، وما الأغلال إلا قيوداً لهم هم، ويعد هذا من ألوان التجربة المشرقة عنده، ويتجلى هذا الإشراق فى وصفه لنفسه بالشموخ الذى يجعل من حوله يجله ويقدره قدره، حتى كأنه صار بين أهله وذويه، ويؤكد هذا الشعور، فيقول:(بِأَنِّيَ في نَعماءَ يَشكُرُها مِثلي)وهذا يدل على عظم همته، فالضعفاء لا يعرفون هذه النعمة لأنهم آثروا الهرب، وكأن الأسر عنده نعمه أمثاله من العظماء يعرفونها، ويزيد فى تأكيد هذا المعنى حين يجعل الأسر وسيلة ليتعرف الروم على خلال وفضائل هذا الفارس المقدام.

(١) السابق ص٥٠، ٥١
(٢) ديوان أبو فراس ص١٢٦

وقد بلغ الأمر بأبى فراس أن يحتقر الدُمستق (ملك الروم) فيكيل له السباب الموجع، فيذكره ببطولاته النادرة فى بلدة (دُلوك) الذى زلزل أبو فراس كيان جنود الروم، فيقول:

**تَأَمَّلَني الدُمُستُقُ إِذ رَآني فَأَبصَرَ صيغَةَ اللَيثِ الهُمامِ**
**أَتُنكِرُني كَأَنَّكَ لَستَ تَدري بِأَنّي ذَلِكَ البَطَلُ المُحامي**
**وَأَنّي إِذ نَزَلتُ عَلى دُلوكٍ تَرَكتُكَ غَيرَ مُتَّصِلِ النِظامِ**
**وَلَمّا أَن عَقَدتُ صَليبَ رَأيِي تَحَلَّلَ عِقدُ رَأيِكَ في المَقامِ**
**وَكُنتَ تَرى الأَناةَ وَتَدَّعيها فَأَعجَلَكَ الطِعانُ عَنِ الكَلامِ**
**وَبِتُّ مُؤَرِّقاً مِن غَيرِ سُقمٍ حَمى جَفنَيكَ طيبَ النَومِ حامِ**
**وَلا أَرضى الفَتى مالَم يُكَمِّل بِرَأيِ الكَهلِ إِقدامَ الغُلامِ**
**فَلا هُنَّئتَها نُعمى بِأَسري وَلا وُصِلَت سُعودُكَ بِالتَمامِ**(١)

فالأبيات تعبر عن إحساس الشاعر بالفخر بنفسه والهجاء للروم، فنرى أبا فراس أسيراً إلا أنه قوى، ونرى الدمستق مؤرقاً خائفاً جزعاً من لقاء أبى فراس، وهذا مما يكشف عن مظهر جديد من مظاهر الفخر عند أبى فراس.

وبعد.... فإن الفخر كان عنصراً مهماً من عناصر الرؤية الشعرية لأشعار الاغتراب عند أبى فراس، وهو أهم غرض فى رومياته، وقد تنوعت ملامح هذا الفخر فكشف عن صفاته وأخلاقه . التى كثيراً ما يتصف بها العربى . من حيث كونه فارساً وشاعراً، ولعل أبرز أنواع الفخر عنده فخره بأهله وقومه، وهو فخر لا يبتعد كثيراً عن ملامح الفخر العربى فى الجاهلية، وتجربة الأسر هى الرافد الأول لهذه الأشعار الذى كشف فيها عن علو نسبه رغم حياة الأسر التى يحياها.

كما حرص أبو فراس على أن يربط بين فخره ومدح سيف الدولة ؛حتى يلفت انتباهه إليه فينقذه، وحتى يسمو قدره بمدحه لملك من قومه، كما حرص على تعليل أسره ؛حتى لا يتهم بالضعف، ولنفس السبب مدح نفسه بالتحمل والصبر على الأغلال، كما ألهب أعداءه بكلماته الموجعة التى تكشف عن ترفعه وعدم تصنعه لهم كما يفعل الجبناء.

(١) ديوان أبو فراس ص ١٦١

وهكذا ظهرت أفكار ومعانى الفخر بارزة فى روميات أبى فراس حتى لا تكاد تخلو منها قصيدة.

**ب . المعتمد:**

تمثلت معانى الفخر واضحة جلية عند أبى فراس وتنوعت تنوعاً ظاهراً فى معالجتها، وهى عند المعتمد شبيهة بهذا التصور الذى رأيناه عند أبى فراس مع مراعاة الطبيعة الشاعرية بينهما، وأثر التجربة وفاعليتها فى رسم أجواء الفكرة.فقد كانت آثار السجن قوية الأثر على نفس المعتمد، وربما كان إحساسه بانفلات السلطان والعرس من بين يديه قويا بارزاً، لذا جاءت معانى الفخر عنده تتسم بالمرارة والحزن والإحساس بالضياع، فلم تظهر أصداء الشموخ والتعالى إلا ومضات خاطفة حين ترتسم فى مخيلة المعتمد ذكريات المجد الغابر والسلطان الداثر، ولم تتوفر هذه المعانى إلا فى مقطوعات قصيرة موجزة النبرة سريعة العاطفة، لا تقوى أن ترسم حدوداً محددة لمعالم هذا الملك الداثر وما يصاحبه من فخار، من هنا نستطيع القول بأن المعتمد يصور شعوراً عاماً للفخر الذى كان يحسه أيام ملكه لا أيام أسره، وكأنع يتذكره، فيقول:

**وَكُنّا إِذا حانَت لِنحرٍ فَريضَةٌ وَنادَت بِأَوقاتِ الصَلاة طُبولُ**
**شَهِدنا فَكَبَّرنا فَظَلَّت سُيوفُنا تُصَلّي بِهاماتِ العِدا فَتُطيلُ**
**سُجودٌ عَلى إِثرِ الرُكوعِ مُتابَعٌ هُناكَ بِأَرواحِ الكُماةِ تَسيلُ** (١)

فنرى فى كلماته مجامع الفخر ودعائم المجد الذى قام عليه سلطان بنى عباد فى أشبيلية، عزاً ينبع من عقيدتهم الإيمانية الراسخة، ومجداً يتراءى من شجاعتهم الخالصة، ثم يربط بين كلا الأمرين (الإيمان والشجاعة) بما يكشف عن تتابع الأمرين وكأنهما متلازمين، ويُلاحظ أن المعتمد استهل مقطوعته قائلاً: (وكنا) فالفعل الماضى كشف عن عاطفته الاسترجاعية التى تمتلئ بالمرارة والحزن حتى فى موقف الفخر، أما الحمدانى فقد كان إحساسه وهو فى أسره يمتلئ بالصلابة والتمسك بكل معانى الفخر، فلم تفارقه نعرته البدوية، ولا عزة

(١) ديوان المعتمد بن عباد تحقيق د/ حامد عبد المجيد د/ أحمد لأحمد بدوى ص ١١١ طبعة دار الكتب الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م.

نفسه العربية، ولا شموخه التغلبى، ولا سلطان قومه الحمدانى، خاصة وأن ملك قومه مازال ماثلاً بقوته وصموده، ومازال سيف الدولة قابضاً عليه، من هنا كان إحساسه بالفخر أقوى، وروافده تترقرق فى أبياته بصورة واضحة.

والمعتمد دائماً ما يسترجع آلام الذكريات، وأن بدت هذه الآلام فى معانى الفخر، فيحاول أن يخرج من مأساته بحقائق يرضاها هو وترضى ذاته المفتخرة، وإن بدت فى أعين الناس انهياراً وضعفا يتنافى مع عاطفة الفخر، فيقول:

**مَن عَزا المَجدَ إلَينا قَد صَدَق لَم يُلِم من قال مَهما قال حقْ**
**مَجدُنا الشَمسُ سَناءً وَسَناً مَن يَرمُ سَتر سَناها لَم يُطِقْ**
**أَيُّها الناعي إلَينا مجدَنـا هَل يَضُرُّ المَجدَ أَن خَطبٌ طَرَقْ**
**لا نُرَع لِلدَمع في آماقِنـا مَزَجته بِدَمٍ أَيدي الحُـرَقْ**
**حَنِقَ الدَهرُ عَلَينا فَسَطـا وَكَذا الدَهرُ عَلى الحرّ حَنِقْ**
**وَقَديماً كَلِف المُلك بِنـا وَرأى مِنّا شُموساً فَعَشِـقْ**
**قَد مَضى مِنّا ملوكٌ شُهِروا شُهرَةَ الشَمسِ تَجَلَّت في الأُفُقْ**
**نَحنُ أَبناءُ بَني ماءِ السَما نَحونا تَطمَعُ أَلحاظُ الحَـدَقْ**
**وَإِذا ما اِجتَمَع الدين لَنـا فَحَقيرٌ ما مِنَ الدُنيا اِفتَرَقْ**[1]

فهو يحاول أن يؤكد دعائم هذا السلطان والمجد ببعض الصور التى تدل علىالغلبة، فهم شمس لا تستطيع أى قوة أن تستر نورها، وهم على قدر من الدين تحتقر فى شأنه الدنيا كلها، لذا رأيناه يلتمس المبررات التى تنفى عن بنى عباد الضعف أو المهانة فيوضح أن النكبة التى قرحت مآقيهم وصيرت دموعهم دماً، جاءت من سطوة الدهر الذى لا يسطو إلا على الأقوياء(وكذا الدهر على الحر حنق) ثم يرى نفسه وقومه شموساً تتلألأ فى سماء أشبيلية، ورغم هذه المعانى التى تتسم بالفخر إلا أنها حملت صورة مؤلمة قاسية وهى صورة امتزاج الدمع فى مآقيهم بدم فهى تكشف عن مشاعر الحزن والقسوة والحرمان الذى يعانيه المعتمد فى سجنه، وكعادة النفس العربية الشاعرة دائما ما تفتخر بشجاعتها، نرى المعتمد مباهياً بشجاعته، ربما لأن هذه الصفة أجدى فى تأصيل صورة الفخر الذى

(١) ديوان المعتمد بن عباد ص ١٠٩.

يحاول المعتمد أن يرتفع بها عن مذلة السجن وسلب ملكه، وأجدى أنواع الفخر هنا الفخر بالشجاعة فى وقت ظن فيه الأعوان والوزراء الخضوع سياسة فنراه يقول حين هوجمت أشبيلية:

**قالوا الخُضوعُ سياسَةٌ فليبدُ مِنك لَهُم خُضوعُ**
**وَأَلَذُّ مِن طَعم الخُضو عِ عَلى فَمي السَمُّ النَقيعُ**
**إِن يسلب القَومُ العدا مُلكي وتسلمني الجُموعُ**
**القَلبُ بَينَ ضُلوعِه لَم تسلم القَلبَ الضُلوعُ**
**لَم أَستَلَب شرفَ الطبا ع أيسلَبُ الشَرفُ الرَفيعُ**
**قَد رُمتُ يَومَ نِزالِهم أَلا تُحصّنَني الدُروعُ**
**وَبَرَزتُ لَيسَ سِوى القَميـ ـصِ عَن الحَشا شيءٌ دفوعُ**
**وَبَذَلتُ نَفسي كَي تَسيـ ـلَ إِذا يَسيل بِها النَجيعُ**
**أَجَلي تَأَخَّرَ لَم يَكُن بِهَوايَ ذُلّيَ وَالخُضوعُ**
**ما سرتُ قَطُّ إِلى القِتا ل وَكان مِن أَمَلي الرُجوعُ** (١)

فالفخر والشجاعة والفروسية صفات ملازمة للشاعر، حتى فى أزماته التى التى يُظن فيها أن الخضوع سياسة قد يؤدى إلى الأمن والسلامة، ولكنه يرفض هذه السلامة التى أسوأ طعماً من السم النقيع، والمعتمد يوظف لبناء فكرته معان تقوم على أساس عكسى، فنراه ينتقل بالصورة من مساحة قد يكون فيها مجالاً لقبول الخضوع ولو فى تصور الضعفاء وما يتولد عن هذه الصورة من إحساس بلذة الحياة، إلى صورة أخرى عكسية هى أشد لذة فى نفس الشاعر من الصورة الأولى وهى أن يتجرع السم النقيع مما يؤدى به إلى الموت، فهذه هى اللذة الحقيقية، وهى الأولى بالتقدير فى مثل هذه المواقف.

وفى موقف الانكسار الذى يتناقض مع مشاعر الفخر مثل موقف استلاب ملكه نراه يوضح أن سلب الملك ليس معناه سلب الشرف الرفيع(لَم أَستَلَب شرفَ الطباع أيسلَبُ الشَرفُ الرَفيعُ)، ويتقدم خطوة فى رسم صورة الشجاعة، فنراه قد

(١) ديوان المعتمد بن عباد ص ٨٨.

خرج لملاقاة عدوه وليس عليه درع مما يبن عدم خوفه من الموت، فلم يكن فى أمله الرجوع من المعركة.

ورغم سيطرة روح الصلابة والقوة على هذه الأبيات إلا أنها تصور مشاعر ملك قد انهار ملكه وتحطم عرشه لا أمل له فى الحياة، بل إنه يأمل الموت فهو الشئ الوحيد الذى يستحق أن يقبل عليه المعتمد بصدر رحب، وهذا يؤكد عاطفته التى تيقنت انقطاع السبل بينه وبين ملكه، هذا بخلاف أبى فراس فقد كان أكثر يقيناً بقوة قومه، وأكثر تعلقاً بفك أسره، أما المعتمد فقد يأس من عودته إلى الحياة . خارج سجنه . التى هى بالنسبة له دار الملك والسلطان، فيقول:

**أَجَلي تَأَخَّرَ لَم يَكُن بِهَوايَ ذُلّيَ وَالخُضوعُ**

وكأننا به ينتظر أجله، على خلاف الحمدانى الذى يقول:

**مُصابي جَليلٌ وَالعَزاءُ جَميلُ وَظَنّي بِأَنَّ اللهَ سَوفَ يُديلُ**(١)

ورغم أن المعتمد تناول الفروسية وتحدث عن شجاعته وصبره على ملاقاة أعدائه إلا أنه كان شحيحاً فى هذا الوصف، مقلاً فى تصوير ملامح هذه الفروسية، ربما لأنه لم يعايش موقفاً واقعياً يكشف عن هذه الفروسية أمام قوة يوسف بن تاشفين، وربما لأن المعتمد كان معنياً بالعلم والأدب أكثر من عنايته بالفروسية، وهو بهذا على النقيض من أبيه الذى كان يتسم بالسطوة والجبروت، وحتى فى أبياته التى صور فيها خروجه على أعدائه مجرداً من الدروع، سيطرت عليه عاطفة التهور فقد اندفع نحو الموت، من هنا جاءت أبيات الشجاعة والفروسية عنده قليلة بالنسبة لأبى فراس الذى عنى عناية بالغة بتصوير فروسيته النادرة، ولا غرو فى ذلك فهو فارس بنى حمدان المقدم، أما المعتمد فلم تكن أبياته حول الفروسية إلا أبياتاً معدودة من مثل قوله:

**أَبى الدَهرُ أَن يَقنى الحَياءَ ويندما وَأَن يَمحوَ الذَنبَ الَّذي كانَ قَدَّما**
**وَأَن يَتَلَقّى وَجهُ عَتبيَ وَجهُهُ بِعُذرٍ يُغشّي صَفحَتَيهِ التَذَمُما**
**سَتَعلَمُ بَعدي مَن تَكونُ سُيوفُهُ إِلى كُلِّ صَعبٍ من مراقِيكَ سُلّما**
**سَتَرجِعُ إِن حاوَلتَ دونيَ فَتكَةً بِأَخجَلَ مِنهُ المُبارز أَحجَما**(١)

(١) ديوان أبو فراس ص ١٣٥

فهذه شجاعة رجل يشكو آلام السجن وتسيطر عليه عاطفة الاستسلام فيقول: (سَتَعلَمُ بَعدي) ومما يؤكد هذه الظاهرة . انكسار وخضوع المعتمد ويقينه بعدم خلاصه . أننا نراه يمدح عدوه الذى سجنه وهذا أمر عجيب، فعلى حين رأينا أبا فراس يسب الروم ويرميهم بأقبح الصفات، فتارة يرى ملك الروم مذموم الفعال وثانية يراه مؤرقا لا ينام الليل فرقاً، وثالثة يصفه بالعلج ويصف البطارقة بالتيوس واللئام وأن لهم خلق الحمير، ورابعة يرى نفسه آسرا لهم.....نرى المعتمد يمدح يوسف بن تاشفين، فيقول:

**وَلَولاكَ يا يُوسُفُ المُتَّقى رَأَينا الجَزيرَةَ لِلكُفرِ دارا**
**رَأَينا السُيوفَ ضُحىً كالنُجوم وَكالَّيل ذاكَ الغُبارَ المُثارا**
**فَلِلَّهِ دَرُّكَ في هَولِهِ لَقَد زادَ بأسُكَ فيهِ اِشتِهارا**
**تَزيدُ اِجتِراءً إِذا ما الرِما حُ عِندَ التَناجُزِ زِدنَ اِشتِجارا**
**كَأَنَّكَ تَحسَبُها نَرجِساً تُديرُ الدِماءَ عَلَيها عُقارا**
**تُريكَ الرِماحُ القُدودَ اِنثِناءً وَتَجلو الصِفاحُ الخُدود اِحمِرارا**
**إِذا نار حربكَ ضَرّمْتَها حَسِبنا الأَسِنَّة فيها شَرارا**
**سَتَلقى فِعالَك يَومَ الحِسا ب تنثرُ بالمِسك منك اِنتِثارا[٢]**

ولا أرى تبريرا لهذه الأبيات سوى محاولته استرضاء يوسف حتى يعفو عنه، وقد ذكر محققا الديوان:" أنه لم يطأطأ هامته لقسوة يوسف فما زل ولا استعطف ولا استرحم ولا استشفع ولا ارتاع ولا روع..... وكان غذاؤه فى محبسه أنما هو الشعر يبثه كامن حزنه "[٣]

وهذا مناقض لما قاله المعتمد فى أشعاره، وقد يرد بأن المعتمد كان فى سالف عهده حليفا ليوسف وأنه كتب هذه الأبيات قبل أن يسجن، ويرد على هذا بأن المعتمد حين نزل بأغمات وطلب من حواء بنت تاشفين خباء عارية فاعتذرت بأنها ليس عندها خباء، فقال:

(١) ديوان المعتمد بن عباد ص ١١٤.
(٢) ديوان المعتمد بن عباد ص ٩٧، ٩٨.
(٣) السابق ص ١٣.

**هُم أَوقَدوا بَينَ جَنبيكَ نارا أَطالوا بِها في حشاكَ اِستِعارا**
**أَما يَخجَلُ المَجدُ أن يُرحِلوك وَلَم يَصحبوكَ خباءً مُعارا**
**وَقَلبي نَزوعٌ إِلى يُوسُفٍ فَلَولا الضُلوعُ عَلَيهِ لَطارا**[1]

فمعالجة المعتمد تختلف كثيرا عن معالجة أبى فراس للفخر والفروسية، وموقفه هذا تجاه ساجنه يختلف عن موقف الحمدابى الذى ألهب أعداءه بسياط من لسانه الحاد المتقد كراهية له، وموقف أبو فراس أكثر ملاءمة لواقع التجربة التى يعانيها، أما المعتمد فموقفه مناقض لواقعه أشد التناقض، من هنا كانت معانى الحمدانى أكثر عمقا وتحليلا واستخراجا لملامح التجربة، أما المعتمد فلأنه يمدح عدوه بدت بعض الدلائل التى تكشف عن إحساسه وضيقه بالسجن فيقول:

**وَقَلبي نَزوعٌ إِلى يُوسُفٍ فَلَولا الضُلوعُ عَلَيهِ لَطارا**

فهذا القلب يكشف عن قلبه السجين بين الضلوع يتمنى أن يطير من سجنه كأمنيته أن يتحرر من سجنه اللعين.

وبعد فهذه هى أهم مظاهر الاختلاف بين أبى فراس والمعتمد فى غرض الفخر.

(١) السابق ص ٩٧.

## ثانياً: الصبر والتحمل

### أ:عند أبى فراس

من أهم العناصر الموضوعية لشعر الأسر عند شاعرينا الحديث عن الصبر والتجلد وتحمل البلوى، وهى دعوة أمل كثيراً ما تراود نفس الأسير، فيأمل أن يفك الله تعالى أسره، ولا يفارقه الإحساس بأن هذا الصبر سوف تعقبه النجاة، وهذه الظاهر ة الموضوعية ملائمة تماماً لواقع الأسير، بل والنفس الإنسانية التى تأمل دائماً فى غدٍ مشرق تنفرج فيه البلوى، وتندحر فيه الكربات، وبذلك فأحاديث الصبر أنيس النفس ورفيقها فى هذه المواقف.

وإذا اردنا أن نتعرف على ملامح التجربة عند أبى فراس فى الحديث عن الصبر والتحمل، فإننا نراه يحاول فى قصيدة من قصائده أن يرد على الشامتين، وما أكثرهم من حول الملك ممن يطمعون فى الوصول إلى مكانة الشاعر عند الملك، فنرى الشاعر يصور الواقع فى عدم إرضاء الشامتين والحساد، وأنهم قد اجتمعوا على قلب واحد من الكراهية والوجد على أبى فراس، يقول:

**لِمَن جاهَدَ الحُسّادُ أَجرُ المُجاهِدِ وَأَعجَزُ ما حاوَلتُ إِرضاءُ حاسِدِ**
**وَلَم أَرَ مِثلي اليَومَ أَكثَرَ حاسِداً كَأَنَّ قُلوبَ الناسِ لي قَلبُ واجِدِ**
**أَلَم يَرَ هَذا الناسُ غَيرِيَ فاضِلاً وَلَم يَظفَرِ الحُسّادُ قَبلي بِماجِدِ**
**أَرى الغِلَّ مِن تَحتِ النِفاقِ وَأَجتَني مِنَ العَسَلِ الماذِيِّ سُمَّ الأَساوِدِ**
**وَأَصبِرُ مالَم يُحسَبُ الصَبرُ ذِلَّةً وَأَلبَسُ لِلمَذمومِ حُلَّةَ حامِدِ** (١)

فهو يوجه أفعال الحساد إلى موطن فخر له، فهم لم يجدوا غيره فى البشرية من هو جديراً بالفضل ليحسدوه، ولم يظفروا بإنسان ماجد سواه، ولكن أبا فراس خفف من فاعلية هذة المبالغة التى تحمل فخرا عن طرق الاستفهام التعجبى، فهو يكشف عن كثرة الفضلاء من قبله ممن يستحقون الثناء ويكفيه أنه واحد من العظماء، ومما يؤكد نبرة الفخر حتى فى معرض حديثه عن الصبر، أنه يجعل صبره وسيلة لإضافة صفة جديدة إلى محامده وهى القوة والصمود، والصبر الذى عليه الشاعر يدفع به إلى العزة، فما هو بصبر الضعفاء ممن يدفع بهم إلى الذل،

(١) ديوان أبو فراس ص ٥٣

"وَأَصبِرُ مالَم يُحسَبُ الصَبرُ ذِلَّةً..."، ثم يتقدم فى عرض أفكاره ليوضح أن ما أصابه إنما هو قدر الله ولا راد لأمره تعالى ولا دافع لقضائه، يقول:

**وَما كُلُّ أَنصاري مِنَ الناسِ ناصِري وَلا كُلُّ أَعضادِ مِنَ الناسِ عاضِدي**
**وَهَل نافِعي إِن عَضَّني الدَهرُ مُفرَداً إِذا كانَ لي قَومٌ طِوالُ السَواعِدِ**
**وَهَل أَنا مَسرورٌ بِقُربِ أَقارِبي إِذا كانَ لي مِنهُم قُلوبُ الأَباعِدِ** (١)

فيحاول أن يوجه الأمور إلى ما فيها من خير، فما الذى يفيد الإنسان حين يكون بين أهله يكرهونه؟ لا شك أن الأسر مع حبهم أفضل، وربما تسرب هذا الشعور إلى نفس الحمدانى حين أحس أن أهله . سيف الدولة . نسوه أو تناسوه، فكان صبره هنا صبر إنسان يأئس يخفى وراءه كثيراً من معانى الحزن والمرارة، وبعضاً من الاستسلام فنراه يقول:

**صاحب لما أساء أتبع الدلو الرشاء**
**رب داء لا أرى منه سوى الصبر شفاء**
**أحمد الله على ما سر من أمرى وساء** (٢)

فتتجلى فى هذا الأبيات معانى الرضا بقضاء الله، وهو يشير إلى تجاهل سيف الدولة له ونسيانه له فى الأسر.

ومن مظاهر الصبر والتجلد صبره على بعد الأحبة، فيقول حينما ماتت أمه:

**وَلَئِن رُميتُ بِحادِثٍ فَلأُلفِيَنَّ لَهُ صَبورا**
**صَبراً لَعَلَّ اللَهَ يَفـ تَحُ هَذِهِ فَتحاً يَسيرا**
**مَن كانَ مِثلي لَم يَبِت إِلا أَسيراً أَو أَميرا**
**لَيسَت تَحُلُّ سَراتُنا إِلا الصُدورَ أَوِ القُبورا**(٣)

فهو يأمل أن يُفك أسره، ثم يقرر أن الواقع يقضى بأنه لا بد أن يكون بين أمرين:القتل أو الأسر وهذا يكشف عن عزة نفسه وعزيمته القوية ونفسه الأبية.

(١) ديوان أبو فراس ص ٥٣
(٢) السابق ص ١٢
(٣) السابق ص ٩٨

وفى قصيدة أخرى نراه يوصى أمه بالصبر فيقول:

**وَإِنَّ وَراءَ السَترِ أُمّاً بُكاؤُها عَلَيَّ وَإِن طالَ الزَمانُ طَويلُ**
**فَيا أُمَّتا لاتَعدَمي الصَبرَ إِنَّهُ إِلى الخَيرِ وَالنُجحِ القَريبِ رَسولُ**
**وَيا أُمَّتا لاتُخطِئي الأَجرَ إِنَّهُ عَلى قَدَرِ الصَبرِ الجَميلِ جَزيلُ**
**أَما لَكِ في ذاتِ النِطاقَينِ أُسوَةٌ بِمَكَّةَ وَالحَربُ العَوانُ تَجولُ**
**أَرادَ اِبنُها أَخذَ الأَمانِ فَلَم تُجِب وَتَعلَمُ عِلماً أَنَّهُ لَقَتيلُ**
**تَأَسّي كَفاكِ اللَهُ ما تَحذَرينَهُ فَقَد غالَ هَذا الناسُ قَبلَكِ غولُ**
**وَكوني كَما كانَت بِأُحدٍ صَفِيَّةٌ وَلَم يُشفَ مِنها بِالبُكاءِ غَليلُ**
**وَلَو رَدَّ يَوماً حَمزَةَ الخَيرِ حُزنُها إِذاً ما عَلَتها رَنَّةٌ وَعَويلُ** (١)

فنراه يستلهم التاريخ محاولاً إلقاء هالة من الجلال عليه، فيربط بين مصاب أمه فيه ومصاب اليسدة أسماء فى ابنها عبد الله بن الزبير، وكمصاب السيدة صفية عمة الرسول ﷺ فى سيدنا حمزة، واختيار هذه النماذج والشخصيات التاريخية له دلالة فكرية تكشف عن تجربة الشاعر وإحساسه بذاته المتعالية.

ونراه فى قصيدة أخرى يوصى أمه بالصبر والتحمل، فيقول:

**يا أُمَّتا لا تَيأَسي لِلَّهِ أَلطافٌ خَفِيَّه**
**كَم حادِثٍ عَنّا جَلا هُ وَكَم كَفانا مِن بَلِيَّه**
**أوصيكَ بِالصَبرِ الجَميـ لِ فَإِنَّهُ خَيرُ الوَصِيَّه**(٢)

وهكذا نرى أبا فراس وقد نبعت معانى الصبر عنده من منبع واحد وهو الفخر بهذا الصبر، مما يجعلنا نقول بأنه امتداد لعنصر الفخر الذى لازم رومياته، ولئن كان قد افتخر من قبل بشجاعته وكرمه وسؤدد قومه، فأننا نراه اليوم يفتخر بصبره وتحمله آلام الأسر، ولذا فقد اقترن حديثه عن الصبر بانتظار الفرج والخلاص من هذا الأسر المقيت.

**ب . المعتمد.**

أما المعتمد فقد نظم قصيدة واحدة فى حديثه عن الصبر، يقول:

(١) ديوان أبو فراس ص ١٣٦
(٢) السابق ص ١٨٣

**اِقنَع بِحَظِكَ في دُنياكَ ما كانَـا وَعَزِّ نَفسِكَ إِن فارَقت أَوطانا**
**في الله مِن كُلِّ مَفقودٍ مَضى عِوَضٌ فأشعر القَلبَ سُلوانا وَإِيمانـا**
**أَكُلَّما سنحت ذِكرى طَربتَ لَهـا مَجَّت دُموعكَ في خدّيكَ طوفانا**
**أَما سَمِعتَ بِسُلطانِ شبيهكَ قَـد بَزَّتهُ سودُ خُطوب الدَهر سُلطانا**
**وَطِّن عَلى الكُرهِ وَارقُب إِثرَهُ فَرجاً وَاِستَغفِر اللهَ تَغنَم مِنهُ غُفرانا**(١)

وصبره هنا ليس صبر من ينتظر الخلاص من السجن، وإنما صبر من ينتظر الموت، لذا فهو يتحدث فى أسلوب رثائى، نرى فيه القناعة بحظه من الدنيا، ونرى بعض الكلمات التى تكشف عن اليأس مثل، مَفقود، سُلوانا، ذِكرى، خُطوب الدَهر، وَطِّن عَلى الكُرهِ...ونرى بعض الصور التى تدلل على أنه لم يعد لديه أمل فى عودة ملكه، ولم يعد لديه مايبذله على هذا الملك الضائع سوى الدموع التى تجرى على الخدين طوفانا، وليس لديه أى أمل يراوده سوى قوله: وَارقُب إِثرَهُ فَرجاً، فالفرج عنده أمله فى غفران الله تعالى:وَاِستَغفِر اللهَ تَغنَم مِنهُ غُفرانا، فهو يأمل الموت لا الحياة.

وهذه القصيدة قصيرة جداً، ولئن رأيناه الحمدانى مفتخراً مباهياً بقوته وصبره، فإن المعتمد كان أكثر استسلاماً ويأساً من الحياة، ووأقل أملاً فى عودة ملكه، لذا فقد كان يأمل الموت ليتخلص من هذا السجن المقيت.

وهكذا اختلفت المعالجة بين شاعرينا اختلافا ظاهراً، فالأول مازال ملك قومه قائما، أما الآخر: فقد زال ملكه، من هنا اختلفت أصداء التجربة.

(١) ديوان المعتمد ص ١١٤، ١١٥

## ثالثا: الشـكوى

الشكوى وتصوير الألم أثر طبيعى لتجربة الأسر وانعكاس للشعور النفسى الذى تكابده نفس الأسير، فهو تجربة قاسية عليه وعلى من يأملون عودته، وهذ القسوة عاناها شاعرينا، لذا فإن أشعارهما لا تخلو من نبرة متألمة حزينه ترفض هذا الوضع المهين الذى لا تقبله سوى أنفس العبيد.

وقد كانت معانى الشكوى عند شاعرينا تدور حول ثلاثة محاور رئيسة، هى:

١. الشكوى من غدر الزمان وقسوة الأيام.
٢. تصوير آلام الشاعر التى يكابدها فى سجنه من فراق أهله وأحبابه.
٣. الحديث عن أثر القيد والأغلال على نفسيهما.

**أ . عند أبى فراس:**

أبو فراس كعادته صاحب نفس أبية مترفعة حتى وإن كان أسيراً فى يد أعدائه، فلا يشكو بكلمات تنقص من قدره أو تحط من كرامته، فإذا تألم يكون ألمه من قسوة الزمان وغدر الأيام وتقلب الدهر، وهذا الأمر شأن الزمان مع كل من كان عالى القدر رفيع المكانة، وقد كان هذا المعنى من أكثر المعانى تكراراً فى الشكوى عند أبى فراس، فأفاض فيها إفاضة بالغة، فيقول:

**مُصابي جَليلٌ وَالعَزاءُ جَميلُ وَظَنّي بِأَنَّ اللهَ سَوفَ يُديلُ**
**جِراحٌ تَحاماها الأُساةُ مَخوفَةٌ وَسُقمانِ بادٍ مِنهُما وَدَخيلُ**
**وَأَسرٌ أُقاسيهِ وَلَيلٌ نُجومُهُ أَرى كُلَّ شَيءٍ غَيرَهُنَّ يَزولُ**
**تَطولُ بِيَ الساعاتُ وَهيَ قَصيرَةٌ وَفي كُلِّ دَهرٍ لايَسُرُّكَ طولُ**[١]

فنرى عاطفة الترفع الممتزج بالحكمة تتجلى فى الأبيات، فهو لا يرجو فرجاً لهذه الكربة إلا من الله عز وجل، ثم إنه يحاول أن يلتمس لنا شيئاً من قسوة الأسر وطول الأيام فيه، فيحاول أن يتعمق فى رسم أبعاد هذا الطول ، فيضيف إليه الظلام الشديد، لذا فإن هذا العذاب يحدث آلاما داخلية وخارجية.

ونراه يشكو من قسوة هذا الزمان وعدوانه الشديد عليه، فيقول:

**أَما لَيلَةٌ تَمضي وَلا بَعضُ لَيلَةٍ أُسَرُّ بِها هَذا الفُؤادَ المُفَجَّعا**[٢]

(١) ديوان أبو فراس ص ١٣٥
(٢) السابق ص ١٠٩

وهذه نبرة مظلمة اصطبغت بها نفس أبى فراس من ظلمات السجن، وربما كان من أشد ألوان الشكوى وأقساها على نفسه، فأولاها الأهمية الكبرى، الشكوى من نسيان أصحابه له، فقد تألم أشد الألم لهذا الأمر فأخذ يكرره كثيراً فنراه يقول:

**بِمَن يَثِقُ الإنسانُ فيما يَنوبُهُ وَمِن أَينَ لِلحُرِّ الكَريمِ صِحابُ**
**وَقَد صارَ هَذا الناسُ إِلا أَقَلَّهُم ذِئاباً عَلى أَجسادِهِنَّ ثِيابُ**
**إِلى اللهِ أَشكو أَنَّنا بِمَنازِلٍ تَحَكَّمُ في آسادِهِنَّ كِلابُ**
**تَمُرُّ اللَيالي لَيسَ لِلنَفعِ مَوضِعٌ لَدَيَّ وَلا لِلمُعتَفينَ جَنابُ** (١)

ففى ظلال هذه المدة الطويلة التى قضاها أبو فراس فى ظلمات سجنه أحس باليأس، حتى بلغ به الأمر أن يتعجب من أن يكون هناك أصحاب للإنسان الحر، لذا لابد أن يعتمد على ذاته، وقد زاد فى تعميق هذا المعنى حين جعل الناس ذئاباً لبسوا ثياب البشر، وهذه السوداوية التى ينظر بها أبو فراس إلى من حوله تنبعث من كراهيته الشديدة لأعدائه الروم، لذا رأيناه يتعجب من هذا الزمن الذى يتحكم فيه الكلاب فى الأسود، وربما أحس الحمدانى بقسوة كلماته فخفف هذا الأمر حين جعل كلامه موجها إلى إلى أعدائه من الروم وليس لأصحابه، وفى الأبيات نلمح تألم الحمدانى من نسيان سيف الدولة له، وتقاعسه عن افتدائه، فرسم هذا المعنى معبراً عن يأسه من الحياة، وأنه لا أمل عنده فى أن يجد صديقاً مخلصاً يكون عضداً له فى هذه الكربة التى يقاسيها فيقول:

**أَفي كُلِّ دارٍ لي صَديقٌ أَوَدُّهُ إِذا ماتَفَرَّقنا حَفِظتُ وَضَيَّعا** (٢)

فالحمدانى يعطينا بعداً من المفارقات العجيبة، فهو يتسم الود والوفاء ويرعى حق المودة، فى حين يقابل بأصحاب لا يدوم وفاؤهم، وكأن هذا تعريض بسيف الدولة، ومما يدل على تألمه من هذا الأمر، قوله:

**تَناسانِيَ الأَصحابُ ألا عُصَيبَةً سَتَلحَقُ بِالأُخرى غَداً وَتَحولُ**
**وَمَن ذا الَّذي يَبقى عَلى العَهدِ إِنَّهُم وَإِن كَثُرَت دَعواهُمُ لَقَليلُ**
**أُقَلِّبُ طَرفي لا أَرى غَيرَ صاحِبٍ يَميلُ مَعَ النَعماءِ حَيثُ تَميلُ**

(١) ديوان أبو فراس ص ١٣
(٢) السابق ص ١٠٩

وَصِرنا نَرى أَنَّ المُتارِكَ مُحسِنٌ وَأَنَّ صَديقاً لايُضِرُّ خَليلُ
أَكُلُّ خَليلٍ هَكَذا غَيرُ مُنصِفٍ وَكُلُّ زَمانٍ بِالكِرامِ بَخيلُ
نَعَم دَعَتِ الدُنيا إِلى الغَدرِ دَعوَةً أَجابَ إِلَيها عالِمٌ وَجَهولُ
وَفارَقَ عَمروُ بنُ الزُبَيرِ شَقيقُهُ وَخَلّى أَميرَ المُؤمِنينَ عَقيلُ
فَيا حَسرَتا مَن لي بِخِلٍّ مُوافِقٍ أَقولُ بِشَجوي مَرَّةً وَيَقولُ[1]

وهكذا نرى أن شكوى الزمان والتألم من نسيان الأصحاب، تمثل فى رمزه لسيف الدولة وتقاعسه عن نجدته، وبذلك فإن الحمدانى رسم صورة مؤلمة من الشكوى على لسان ملك فارس يتسم بالعزة والشأن الرفيع الذى يأبى أن يستكين أو يذل.

أما المحور الثانى من محاور الشكوى فهو: التألم من فراق الأحباب والأهل، وقد كانت المناسبات التى يسعد فيها أبوفراس بمصاحبة أحبابه وأهله قبل أسره، أشد قسوة عليه حين يعانى آلام الأسر بعيداً عن أصحابه فى هذه المناسبات، فيتذكر ماضيه بالفرح والسعادة، ويذكر حاضره بالقسوة والغلظة، لذا رأيناه فى مناسبة العيد يتذكر أهله، فيقول:

يا عيدُ ما عُدتَ بِمَحبوبٍ عَلى مُعَنّى القَلبِ مَكروبِ
ياعيدُ قَد عُدتَ عَلى ناظِرٍ عَن كُلِّ حُسنٍ فيكَ مَحجوبِ
ياوَحشَةَ الدارِ الَّتي رَبُّها أَصبَحَ في أَثوابِ مَربوبِ
قَد طَلَعَ العيدُ عَلى أَهلِهِ بِوَجهِ لاحُسنٍ وَلا طيبِ
مالي وَلِلدَهرِ وَأَحداثِهِ لَقَد رَماني بِالأَعاجيبِ [2]

نرى أبا فراس يرسم لنا أصداء هذه المناسبة على المستويين الذاتى والجماعى متمثلاً فى ألمه من عدم اصطحاب محبوب يشاركه فرحة هذا العيد، والمستوى الجماعى فى أثر هذا العيد على أهله وحزنهم على فقدان رب هذا البيت الذى أمسى مستعبداً مملوكاً، وهذا التناول للمعنى يعطى انطباعاً بمدى إحساس الحمدانى بنفسه وإعجاب من حوله به وافتقادهم له.

ونراه يوضح العلاقة الوطيدة بينه وبين أهله وأنهم منه بمثابة القلب فيقول:

(١) ديوان أبو فراس ص ١٣٦
(٢) السابق ص ١٣٦

**إِنَّ في الأَسرِ لَصَبّاً دَمعُهُ في الخَدِّ صَبُّ**
**هُوَ في الرومِ مُقيمٌ وَلَهُ في الشامِ قَلبُ**(١)

فأى علاقة يراها أو يرونها . أهله . تربط بينهما ؟! ورغم سطحية المعنى فى البيتين إلا أنهما يكشفان عن ألمه الشديد لفراق أهله وأصحابه.

ويذكرنا أيضا بغلمانه وما هم عليه من حزن لما رأوا سيدهم أسيراً فى يد الروم فيقول:

**لارَعى اللهُ ياخَليلَيَّ دَهراً فَرَّقَتنا صُروفُهُ تَفريقا**
**بِتُّ أَبكيكُما وَإِنَّ عَجيباً أَن يَبيتَ الأَسيرُ يَبكي الطَليقا**(٢)

فأى نفس هذه التى تترفع عن أزمات الحياة ويرثى لغيره ؟

ولعل من روائع شعر الحنين والتألم لفراق الأهل والأحباب مقطوعته التى خاطب فيها حمامة كانت تنوح بقربه، يقول فيها:

**أَقولُ وَقَد ناحَت بِقُربي حَمامَةٌ أَيا جارَتا هَل تَشعُرينَ بِحالي**
**مَعاذَ الهَوى ماذُقتِ طارِقَةَ النَوى وَلا خَطَرَت مِنكِ الهُمومُ بِبالِ**
**أَتَحمِلُ مَحزونَ الفُؤادِ قَوادِمٌ عَلى غُصُنٍ نائي المَسافَةِ عالِ**
**أَيا جارَتا ما أَنصَفَ الدَهرُ بَينَنا تَعالَي أُقاسِمكِ الهُمومَ تَعالَي**
**تَعالَي تَرَي روحاً لَدَيَّ ضَعيفَةً تَرَدَّدُ في جِسمٍ يُعَذِّبُ بالِ**
**أَيَضحَكُ مَأسورٌ وَتَبكي طَليقَةٌ وَيَسكُتُ مَحزونٌ وَيَندِبُ سالِ**
**لَقَد كُنتُ أَولى مِنكِ بِالدَمعِ مُقلَةً وَلَكِنَّ دَمعي في الحَوادِثِ غالِ**(٣)

فأى نفس هذه التى ترى الأسر أتفه من أن يضعف همته، فالأبيات تكشف عن صبره وتجلده رغم قسوة الهموم وشدتها فنراه يقول:" تشعرين بحالى... أقاسمك الهموم... روحاً ضعيفة... جسم بال" ورغم هذا فهو متجلد ودمعه غال، ونرى الجناس الناقص فى بال.. غال، يرسم التجربة بوضوح، فرغم قسوة الآلام فهناك عزة وترفع عن البكاء.

(١) السابق ص ٣١
(٢) ديوان أبو فراس ص ٣١
(٣) السابق ص ١٢٦

ومما يلحق بباب الشكوى تصوير أثر القيود والأغلال ولم يستطرد الحمدانى فى هذا المعنى وإنما اقتضب ولم يشر إلى هذا المعنى إلا من طرف خفى، فيقول:

**يامَن رَأى لي بِحِصنِ خِرشَنَةٍ أُسدَ شَرىً في القُيودِ أَرجُلُها**
**يامَن رَأى لي القُيودَ موثَقَةٌ عَلى حَبيبِ الفُؤادِ أَثقَلُها**(١)

وقلة تناول هذا المعنى يكشف عن ترفعه وعدم اعتنائه بأعدائه، وهكذا نرى نفس الحمدانى مترفعة شامخة حتى فى تصوير آلام السجن.

**ب . المعتمد.**

أما المعتمد فقد كان أكثر أنيناً فى شكواه، بل إن معانى الشكوى والألم كانت من أكثر المعانى وروداً فى شعر الاسر عنده، فقد بلغت أربعا وعشرين قصيدة ومقطوعة تتضمن الشكوى والتألم من الأغلال والقيود وقسوة السجن، وقد تنوعت محاور الشكوى عنده على النحو الذى بيناه من قبل عند الحديث عن أبى فراس تنوعاً يكشف عن عمق التجربة المأساوية التى لا تحمل فى طياتها إلا الأحلام الضائعة والأحلام المستحيلة.

وقد تنوعت محاور هذه الأشعار بين الشكوى من غدر الأيام وقهر الزمان، وبين تصوير الذل والإهانة التى يعانيها الشاعر من تكبيله بالأغلال، فنراه يشكو غدر الزمان وتقلب الدنيا، وأنها لا تبتسم إلا حينما تضمر الأحزان، فلا يَنتظر منها خيراً، ولا يَرجو منها عطاءً، فمن يراقب آمال الدنيا يفاجأ بأنها سراب:

**أَرى الدُنيا الدَنيَّةَ لا تُواتي فَأَجمَلْ في التَصَرُّف وَالطلابِ**
**وَلا يَغرُركَ مِنها حُسنُ بُردٍ لَهُ عَلَمانِ مِن ذَهَب الذَهابِ**
**فَأَوَّلُها رَجاءٌ مِن سَرابٍ وَآخِرُها رِداءٌ مِن تُرابِ** (٢)

وهذه المقطوعة تكشف عن إحساس عميق جاء من توظيف المعتمد المقابلة بين بداية الحياة ومنتهاها ليكشف عن تفاهة الأحلام وضآلة حجم من يرجو من الدنيا أملا، فأولها سرعان مايقابل بآخرها، كما أن الرجاء سرعان ما يمضى إلى

(١) ديوان أبو فراس ص ١٣٢
(٢) ديوان المعتمد ص ٩٣

سراب، والأبيات تكشف إحساس الشاعر بتقارب الأشياء وتجانسها رغم ما يوهم الواقع بتباعدها، فرجاء الدنيا ما هو إلا أمل الموت لأن رجاء الدنيا حتما سيصير إلى سراب، وثياب الموت حتما ستصير إلى رماد فالكل يبلى.

ورغم هذا المعنى السوداوى الذى ينظر به المعتمد إلى الدنيا فإننا نراه فى بيتين آخرين يحاول أن يقرر الواقع الذى يتسم بتقلب الأيام بين سعد ونحس فيقول:

**مَن يَصحَبِ الدَهر لَم يَعدَم تَقَلّبَهُ وَالشَوكُ يَنبُتُ فيهِ الوَردُ والآسُ**
**يَمُرّ حينا وَتَخلو لي حَوادِثُـهُ فَقَلَّما جَرحت إلا اِنثَنَت تاسو** (١)

لذا رأيناه يستخدم صورة توضح هذا المعنى حين جعل الأيام كالشوك ينبت فيه الورد والآس، وهو معنى يكشف عن حقيقة الواقع أكثر مما يحكى ألم الشاعر من هذا الواقع، وهذه هى بعض الإشراقات النفسية التى تتطلع إليها نفس المعتمد وتعطيه بعض الأمل فى الحياة والصبر على مصابها.

ولأن الدنيا انقلبت فى عينيه من النعيم إلى البؤس فلم يعد يرى منها سوى الشوك، نراه يتمنى الموت الذى هو خير من هذا الأسر، فيقول وقد دعا له بالبقاء الطويل الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك، فقال:

**دعا لى بالبقاء وكيف يهوى أسير أن يطول به البقاء**
**أليس الموت أروح من حياة يطول على الشقى بها الشقاء**
**فمن يك من هواه لقاء حب فإن هواى من حتف اللقاء**
**أأرغب أن أعيش أرى بناتى عوارى قد أضر بها الحفاء**
**خوادم بنت من قد كان أعلى مراتبه . إذا أبدو. النداء** (٢)

وربما قد تكون هذه الكلمات الدُعائية ترددت على لسان الوزير عابرة، إلا أن تجربة الأسر جعلت المعتمد يدرك معانيها ويستجلى ما وراءها من دلالات، وهو يتمنى ضدها من تمنى الموت والخلاص من السجن، وتتجلى فداحة الكارثة حين نرى المعتمد يأسى لبناته حين يراهن خوادم لم كانت مرتبته عند المعتمد أيام ملكه

(١) ديوان المعتمد ص ١٠٧
(٢) السابق ص ٩٠

لا ترقى إلى كونه منادياً على باب قصره، فهل هناك فى هذه الحالة أفضل من الموت ؟

كما أجاد المعتمد حين أوضح المفارقة الشديدة بين الماضى والحاضر للكشف عن مدى صعوبة التجربة التى يقاسيها فى ظلال هذا السجن المقيت، فنرى براعة التعبير عن انقلاب الزمان عليه فقد أمسى كل من كان عوناً له عوناً عليه:

**تَبدلتُ مِن عزِّ ظلِّ البُنودِ بذُلِّ الحَديدِ وَثِقَل القُيود**
**وَكانَ حَديدي سناناً ذَليقاً وَعضبا دَقيقاً صَقيل الحَديد**
**فَقَد صارَ ذاكَ وَذا أَدهَما يَعُضُّ بِساقيَّ عَضَّ الأُسود**(١)

فالعزة يعقبها مذلة، والسيف قد غدا قيداً، فأى فجيعة حلت بالشاعر ؟! وأى عوادى انقلبت عليه حتى صار إلى هذا الوضع المقيت ؟١

ويقول مصوراً المفارقة بين الماضى السعيد والماضى البئيس:

**كُنتُ حِلفَ النَدى وربَّ السَماحِ وَحَبيبَ النُفوسِ وَالأَرواحِ**
**إِذ يَميني لِلبَذل يَومَ العَطايا ولقبض الأَرواحِ يَومَ الكِفاحِ**
**وَشِمالي لَقَبضِ كُلِّ عنانٍ يُقحِمُ الخَيلَ في مَجال الرِماحِ**
**وَأَنا اليَومَ رَهنُ أسرٍ وَفَقرٍ مُستَباحُ الحِمى مَهيضُ الجَناحِ**
**لا أُجيبُ الصَريخَ إِن حَضَرَ النا س وَلا المُعتَفين يَومَ السَماحِ**
**عادَ بِشري الَّذي عهدتَ عُبوسا شَغَلَتني الأَشجانُ عَن أَفراحي**(٢)

ولئن كانت دموع أبى فراس عزيزة غالية عليه فلا يذرف الدمع أبدا، فإن المعتمد كان أكثر جوداً بدمعه وبكاءً على مجده الغابر فنراه يقول:

**خَرَجوا لِيَستَسقوا فَقُلتُ لَهُم دَمعي يَنوبُ لَكُم عَن الأَنواءِ**
**قالوا حقيق في دَمعِكَ مُقنِعٌ لَكِنَّها مَمزوجَةٌ بِدماءِ** (٣)

(١) ديوان المعتمد ص ٩٤
(٢) السابق ص ٩٤
(٣) السابق ص ٨٩

فالمعنى كما نرى يكشف عن ألم شديد وقسوة يكابدها المعتمد فى أسره فقد تحولت الدموع دماءً، وحين قتل ابنه سراج الدولة، قال:

**يَقُولونَ صَبراً لا سَبيلَ إِلى الصَبرِ سَأَبكي وَأَبكي ما تَطاوَل مِن عُمري**
**هَوى الكَوكَبانِ الفَتحُ ثُمَّ شَقيقُهُ يَزيدُ فَهَل بَعدَ الكَواكِب مِن صَبرِ**
**نَرى زُهرَها في مأتمٍ كُلَّ لَيلَةٍ يُخَمّشنَ لَهفاً وَسطَهُ صَفحَةَ البَدرِ**
**يَنُحنَ عَلى نَجمَين أَثكَلنَ ذا وَذا وَيا صَبرُ ما لِلقَلبِ في الصَبر مِن عُذرِ**
**مَدى الدهر فَليَبكِ الغَمام مُصابَهُ بِصنوَيهِ يُعذَر في البُكاءِ مَدى الدهرِ**
**بِعَينِ سَحابٍ وَاكِفٍ قَطر دَمعها عَلى كُلّ قَبرٍ حَلَّ فيهِ أَخو القَطرِ** (١)

فقد جعل فى هذه القصيدة جميع عناصر الكون تبكى لموت ولديه، والكون كله فى مأتم، فنرى ولديه كوكبين تنوح لفقدهما النجوم ويبكيهما الغمام بقطر غزير.

ورغم كثرة تصويره لدموعه ودموع الكون من حوله إلا أنه حاول أن يتماسك ويبدو كملك، وما حديثه عن بكاء ولديه إلا كحديث ابن الرومى فى بكاء ولديه أيضا، فقال:

**بكاؤكُما يشْفي وإن كان لا يُجْدي فجُودا فقد أَوْدَى نَظيركُمُا عندي** (٢)

ويتابع فى تصوير فداحة ما حل بأهله من كوارث بكت لها القصور، فيقول:

**بَكى المُبارَكُ في إِثرِ ابن عَبّادِ بَكى عَلى أَثَر غِزلانٍ وَآسادِ**
**بَكَت ثُرَيّاهُ لا غُمَّت كَواكِبُها بِمِثلِ نَوءِ الثرَيّا الرائح الغادي**
**بَكىَ الوَحيدُ بَكى الزاهي وَقُبَّتُهُ وَالنَهرُ وَالتاجُ كُلٌّ ذُلُّهُ بادي**
**ماءُ السَماءِ عَلى أَبنائِهِ دُرَرٌ يا لُجَّةَ البَحرِ دومي ذاتَ إِزبادِ**(٣)

فالقصور والنهر والتاج.... الكل يبكى على ملك بنى عباد، وقد صور المعتمد هذه القصور وما كانت تتسم به من رفاهية ؛ليكشف عن رفاهية العيش التى كان يتمتع بها أهلها، وهذه القصيدة رغم ما فيها من حديث عن البكاء والشكوى من غدر الزمان إلا أنها تتمتع بالإشراق والجمال الذى يتضح من حديثه

(١) ديوان المعتمد ص ١٠٥
(٢) ديوان ابن الرومى٦٢٤/٢ تحقيق د/حسين نصار طبعة دار الكتب والوثائق المصرية١٤٢٤
(٣) ديوان المعتمد ص ٩٥

عن الغزلان والأسود والجمال القصور، وكأنه يسترجع فى مخيلته هذا العز الزائل فى ثوب مشرق، وصورة ماء السماء المدرار توضح هذا المعنى المشرق أكثر من إيضاحها لكثرة البكاء.

وقد كان إحساسه بالاغتراب واضحاً فنراه يأسى على حياة زائله فقد صيرت عوادى الزمن غربة بينه وبين سريره وسيفه.... وكل هذه الأشياء صارت فى مأتم لفراق المعتمد يقول:

**غَريب بِأَرضِ المغربينِ أَسيرُ سَيَبكي عَلَيهِ مِنبَرٌ وَسَريرٌ**
**وَتَندُبُهُ البيضُ الصَوارِمُ وَالقَنا وَينهلُّ دَمعٌ بينَهُنَّ غَزيرُ**(١)

ويعطينا مفارقة بين الماضى والحاضر فى العيد فيقول:

**فيما مَضى كُنتَ بِالأَعيادِ مَسرورا فَساءَكَ العيدُ في أَغماتَ مَأسورا**
**تَرى بَناتكَ في الأَطمارِ جائِعَةً يَغزِلنَ لِلناسِ ما يَملِكنَ قَطميراً**
**بَرَزنَ نَحوَكَ لِلتَسليمِ خاشِعَةً أَبصارُهُنَّ حَسراتٍ مَكاسيرا**
**يَطأنَ في الطين وَالأَقدامُ حافيَةٌ كَأَنَّها لَم تَطأ مِسكاً وَكافورا**(٢)

فكلمات الشاعر تقطر حزناً لما صار إليه حال أبنائه من مهانة، وقد وصف القيود فى أكثر من موضع فقال:

**تَعَطَّفَ في ساقي تَعطُّفَ أرقَمِ يُساوِرُها عَضّا بِأَنيابِ ضَيغَمِ**

وقوله: **قَد كانَ كالثُعبان رُمحُكَ في الوَغى فَغَدا عَلَيكَ القَيدُ كالثُعبانِ**(٣)

وبعد فقد استطرد المعتمد فى وصف القيد والشكوى من غدر الزمان وتقلب الدهر حتى تمنى الموت ليخلص من هذا الذل والمهانة، أما أبو فراس فقد كان أقل تصويراً لمواطن الضعف التى يمر بها الأسير أو يشعر بها المغترب.

## رابعاً: الاستنجاد

### أ. عند أبى فراس.

لعل من أهم مظاهر شعر الأسر تعبيره عن رغبته فى أن يمد إليه ملكه يد العون لينقذه من هذا الأسر المقيت، وقد كان أبو فراس يرى نفسه أثيراً عند سيف

(١) ديوان المعتمد ص ٩٥
(٢) السابق ص ١٠٠
(٣) السابق ص ١١١، ١١٥

الدولة، محباً إلى قلبه لما بينهما من عصب ونسب وقوة لسلطانه، فقد كان قاهراً لأعداء سيف الدولة " وقد ظل طول مدة أسره يرسل من الشعر ما يدل على قلب يذوب أسى ونفس تتحرق شوقاً إلى الحرية وتحقيق ما ترجوه من الأحلام "[1] من هنا فقد رسم أبوفراس لوحات فنية شعرية عكست أصداء الأسر، وبينت مدى إلحاحه فى أن يفك سيف الدولة أسره، فنراه يستنجد سيف الدولة وكأنه يطلب العون من نفسه لنفسه أو يطلب السند من يده لبدنه، فليس بينه وبين سيف الدولة فوارق، فيقول:

**دَعَوتُكَ وَالأَبوابُ تُرتَجُ دونَنا فَكُن خَيرَ مَدعُوٍّ وَأَكرَمَ مُنجِدِ**
**فَمِثلُكَ مَن يُدعى لِكُلِّ عَظيمَةٍ وَمِثلِيَ مَن يُفدى بِكُلِّ مُسَوَّدِ**
**أُناديكَ لا أَنّي أَخافُ مِنَ الرَدى وَلا أَرتَجي تَأخيرَ يَومٍ إِلى غَدِ**
**وَقَد حُطِّمَ الخَطِّيُّ وَاِختَرَمَ العِدى وَفُلَّلَ حَدُّ المَشرَفيِّ المُهَنَّدِ**
**وَلَكِن أَنِفتُ المَوتَ في دارِ غُربَةٍ بِأَيدي النَصارى الغُلفُ ميتَةَ أَكمَدِ**
**فَلا تَترُكِ الأَعداءَ حَولي لِيَفرَحوا وَلا تَقطَعِ التَسآلَ عَنّي وَتَقعُدِ**
**وَلا تَقعُدَن عَنّي وَقَد سيمَ فِديَتي فَلَستَ عَنِ الفِعلِ الكَريمِ بِمُقعَدِ**
**فَكَم لَكَ عِندي مِن إِيادٍ وَأَنعُمٍ رَفَعتَ بِها قَدري وَأَكثَرتَ حُسَّدي**
**تَشَبَّث بِها أُكرومَةً قَبلَ فَوتِها وَقُم في خَلاصي صادِقَ العَزمِ وَاِقعُدِ**[2]

فنرى الشاعر يستخدم مؤثرات لفظية تعكس إحساسه الملح فى الخلاص، فيقول: دعوتك، خير مدعو، أكرم منجد، مثلك من يدعى لكل عظيمة، أناديك، لا تترك، لاتقطع، لا تقعد، تشبث بها أكرومة، قم فى خلاصى، وكلها عبارات تعكس إلى أى مدى كان أبو فراس ملحاً فى استنجاد ابن عمه، ورغم هذا الإلحاح إلا أن هذه الأبيات تضمنت التعبير عن عزة نفس الحمدانى وشموخه، فإن كان سيف الدولة خير من يدعى لكل عظيمة فإن أبا فراس خير من يفدى بكل مسود.

(١) شاعر بنى حمْدان ص ١٢٧
(٢) ديوان أبو فراس ص ٥١

ويتقدم أبو فراس خطوة فى الإلحاح فى طلب النجدة مستعيناً باستدعاء الماضى السعيد بينه وبين أهله . وهم أهل سيف الدولة . ويذكره بما كان بينه وبينهم من علاقات حميمة ومودة وبأس وشجاعة فى دفاعه عن ملك بنى حمدان:

**فَإِن تَفتَدوني تَفتَدوا شَرَفَ العُلا وَأَسرَعَ عَوّادٍ إِلَيها مُعَـوَّدِ**
**وَإِن تَفتَدوني تَفتَدوا لِعُلاكُم فَتىً غَيرَ مَردودِ اللِسانِ أَوِ اليَدِ**
**يُدافِعُ عَن أَعراضِكُم بِلِسانِـهِ وَيَضرِبُ عَنكُم بِالحُسامِ المُهَنَّدِ**
**فَما كُلُّ مَن شاءَ المَعالي يَنالُها وَلا كُلُّ سَيّارٍ إِلى المَجدِ يَهتَدي**
**أَقِلني أَقِلني عَثرَةَ الدَهرِ إِنَّـهُ رَماني بِسَهمٍ صائِبِ النَصلِ مُقصِدِ**
**وَلَو لَم تَنَل نَفسي وَلاءَكَ لَم أَكُن لِؤورِدَها في نَصرِهِ كُلَّ مَوردِ**(١)

فمشاعر الاستنجاد ملحة أشد الإلحاح وظهرت فى أساليب متعددة، مثل تفتدونى، تفتدوا، ثم إنه يبين ملامح تفرده حين يدافع عن قومه بيده وبلسانه، وتبلغ صراحته فى طلب النجدة إلى منتهاها حين يقول مستخدما أسلوب الكناية:

**فَيا مُلبِسي النُعمى الَّتي جَلَّ قَدرُها لَقَد أَخلَقَت تِلكَ الثِيابُ فَجَدِّدِ**

ولعل من وسائل طلب النجدة محاولته مدح سيف الدولة، وقد تعددت القصائد التى تتضمن الإشارة لبطولته، ومدح سيف الدولة ليس فيه مذلة لأبى فراس إنما هو مدح الند للند والصديق للصديق، فلم تكن بينهما ما بين الملوك والشعراء من هبات وعطايا ترخص فيها همة الشاعر، لذا رأينا هذا المدح أشبه بالفخر، فهو يفتخر بابن عمه أكثر من كونه يمدح ملك فيقول:

**إِذا كانَ سَيفُ الدَولَةِ المَلكُ كافِلي فَلا الحَزمُ مَغلوبٌ وَلا الخَصمُ غالِبُ**
**إِذا اللَهُ لَم يَحرُزكَ مِمّا تَخافُهُ فَلا الدُرعُ مَنّاعٌ وَلا السَيفُ قاضِبُ**
**وَلا سابِقٌ مِمّا تَخَيَّلتَ سابِقٌ وَلا صاحِبٌ مِمّا تَخَيَّرتَ صاحِبُ**
**عَلَيَّ لِسَيفِ الدَولَةِ القَرمِ أَنعُمٌ أَوانِسُ لَم يَنفِرنَ عَنّي رَبائِبُ**
**أَأَجحَدُهُ إِحسانُهُ فِيَّ إِنَّنـي لَكافِرُ نُعمى إِن فَعَلتُ مُـوارِبُ**
**لَعَلَّ القَوافي عُقنَ عَمّا أَرَدتُـهُ فَلا القَولُ مَردودٌ وَلا العُذرُ ناضِبُ**
**وَلا شَكَّ قَلبي ساعَةً في اِعتِقادِهِ وَلا شابَ ظَنّي قَطُّ فيهِ الشَوائِبُ**

(١) ديوان أبو فراس ص ٥٢

**تُؤَرِّقُني ذِكرى لَهُ وَصَبابَةٌ وَتَجذُبُني شَوقاً إِلَيهِ الجَواذِبُ** (١)

فهذا مدح ولكنه ليس كمدح الشعراء، واستعطاف ليس كاستعطاف المتذللين فأين هذا من النابغة ؟حين رأى النعمان قوة قدرية تلاحقه أينما حل فقال:

**فأنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن المنتأى عنك واسع** (٢)

لكن أبا فراس يخاطب سيف الدولة فى شموخ وكبرياء.

ورومياات الحمدانى فيها كثير من المرارة، فقد تتبدى هذه المرارة فى رثائه لأبى المكارم ابن سيف الدولة، فيقول:

**يَبكي الرِجالُ وَسَيفُ الدينِ مُبتَسِمٌ حَتّى عَنِ اِبنِكَ تُعطى الصَبرَ ياجَبَلُ**
**يامَن أَتَتهُ المَنايا غَيرَ حافِلَةٍ أَينَ العَبيدُ وَأَينَ الخَيلُ وَالخَوَلُ**
**ياوَيحَ خالِكَ بَل ياوَيحَ كُلِّ فَتىً أَكُلَّ هَذا تَخَطّى نَحوَكَ الأَجَلُ** (٣)

ورغم أن القصيدة تتضمن رثاء للفقيد، إلا أنها تعبر عن مرارة الحمدانى فى أسره وكأنه يبكى نفسه هو، وفى الأبيات تعريض بسيف الدولة لإهماله له فى الأسر، وقد تكرر هذا المعنى كثيراً فى رومياته، فيقول:

**زَمانِيَ كُلَّهُ غَضَبٌ وَعَتبُ وَأَنتَ عَلَيَّ وَالأَيّامُ إِلبُ**
**وَعَيشُ العالَمينَ لَدَيكَ سَهلٌ وَعَيشي وَحدَهُ بِفَناكَ صَعبُ**
**وَأَنتَ وَأَنتَ دافِعُ كُلِّ خَطبٍ مَعَ الخَطبِ المُلِمِّ عَلَيَّ خَطبُ**
**إِلى كَم ذا العِقابُ وَلَيسَ جُرمٌ وَكَم ذا الاِعتِذارُ وَلَيسَ ذَنبُ**
**فَلا بِالشامِ لَذَّ بَفِيَّ شُربٍ وَلا في الأَسرِ رَقَّ عَلَيَّ قَلبُ**
**فَلا تَحمِلِ عَلى قَلبٍ جَريحٍ بِهِ لِحَوادِثِ الأَيّامِ نَدبُ**
**أَمِثلي تُقبِلُ الأَقوالُ فيهِ وَمِثلُكَ يَستَمِرُّ عَلَيهِ كِذبُ**(٤)

ونفس أبى فراس تقطر دما حين يقول هذه الكلمات فقد اشتدت كرة الأيام عليه وكأن كل عناصر الكون أخذت تصب جام غضبها عليه، ولعل مما زاد

(١) السابق ص ٥٢
(٢) ديوان النابغة ص ٥٢ طبعة دار صادر
(٣) ديوان أبو فراس ص ١٣٨
(٤) السابق ص ٢١

حزنه كثرة الوشاة به عند سيف الدولة، وربما أدرك أبو فراس بفراسته مايدور فى ساحة الملك فى بنى حمدان من دسائس تحاك له، فلا يدافع عن نفسه دفاع من تصغر همته فيقول: أَمِثلي تُقبِلُ الأَقوالُ فيهِ،

ونراه يلوم أصحابه الذين نسوه بعدما طالت مدة أسره فيقول:

**تَناسانِيَ الأَصحابُ إلا عُصَيبَـةً سَتَلحَقُ بِالأُخرى غَداً وَتَحولُ**
**وَمَن ذا الَّذي يَبقى عَلى العَهدِ إِنَّهُم وَإِن كَثُرَت دَعواهُمُ لَقَليـلُ**
**أُقَلِّبُ طَرفي لا أَرى غَيرَ صاحِبٍ يَميلُ مَعَ النَعماءِ حَيثُ تَميلُ**(١)

فقد قسم أصحابه إلى نوعين: الأول نسيه ولم يعد يعبأ به والآخر يذكره ولكن لا شك أنه سينساه قريباً خاصة بعدما طالت مدة الأسر، ومما زاد فى رسم مرارة الشاعر أنه جعل العصبة التى تذكره (عصيبة) موظفاً التصغير كوسيلة تعبيرية تكشف عن شعوره الحزين وقلة من يذكرونه.

وربما أدرك الشاعر بأن خلاصه لا يكون إلا بدعائه لله فقال:

**يافارِجَ الكَربِ العَظيـ ـمِ وَكاشِفَ الخَطبِ الجَليلِ**
**كُن ياقَوِيُّ لِذا الضَعيـ ـفِ وَيا عَزيزُ لِذا الذَليلِ**(٢)

وهكذا نلاحظ أن أبا فراس كان دائمَ الإلحاح فى استجاد سيف الدولة، دائم اللوم لتقاعسه عن نجدته وفك أسره.

**ب . المعتمد:**

لعل مشاعر المعتمد بن عباد كانت مختلفة كثيراً عن مشاعر أبى فراس، فأبو فراس مازال ملك آبائه قائماً يستطيع أن يستنجد ملوكه وأمراءه، أما المعتمد فقد زالت دولته، ولم يعد هناك قوة يَطلب منها العون، لذا فقد اقتضب وأوجز فى عرض هذا المعنى فلا نرى له سوى قصيدة واحدة يدعو فيها الله تعالى أن يفرج كربه فيقول:

**قَلبي إِلى الرَحمنِ يَشكو بَثَّهُ ما خابَ مَن يَشكو إِلى الرَحمنِ**
**يا سائِلاً عَن شأنِهِ وَمَكانِهِ ما كانَ أَغنى شأنَهُ عَن شاني**(١)

(١) السابق ص ١٣٦
(٢) ديوان أبو فراس ص ١٤٤

وهكذا نرى أبا فراس نوع فى هذه الظاهرة وأفاض فى عرض جزئيات المعنى، بخلاف المعتمد الذى كان سكوته دليلاً على استسلام شديد سيطر على كل أشعار أسره، وربما كان من أسباب هذا انقطاع العلاقة بين المعتمد ومن هم خارج السجن، وتيقنه من عدم عودته لسالف عهده، فروح اليأس تسيطر عليه فقد" استقبل المعتمد أسره لا بالثورة والتهديد والوعيد، ولكن بالبكاء والنحيب، فلم نر فى شعره حديثاً عن أنصار سيثورون وإنما رأينا استسلاماً لآسريه وبكاءً على ماضيه "(٢)

(١) ديوان المعتمد ص ١١٥
(٢) السابق ص ٢٦

# الفصل الثانى
## الاغتراب عند أبى فراس والمعتمد
## رؤية فنية

**أولاً: الألفاظ والأساليب**

اللغة الشعرية هى اللغة الأقدر على نقل المشاعر والخلجات ونوازع النفس والرغبات من صورتها الذهنية العقلية إلى صورة حية ملموسة لتنبض هذه الكلمات فى نفس المتلقى بمثل ما وهجت به هذه المشاعر فى نفس مبدعها.

واللغة تتسم ببراعتها فى التعبير عن هذه غموض المشاعر، والشاعر المميز هو الذى يستطيع أن يختار من ألفاظ اللغة ما يستوعب كل ما فى وجدانه من مكنونات يؤدى نسجها إلى خلق صورة شعرية تمتاز بالتألق والوهج.

وليس من أهداف الشاعرالأولى أن يصطنع رؤية ما بقدر ما هو معنى بالتعبير عن شعوره وأصداء نفسه ؛ وذلك لأن " عمله استجابة إلى شعوره قبل أن يكون تلبية لفكره " (١)

ولغة الشعر تخضع لمؤثرات زمانية، حيث أن لكل عصر ذوقه اللغوى والتصوير الخاص به، وقيمه الفكرية، ومطالبه التى يروق له تصويرها، ولا يمكن فى ذلك فصل المضمون عن شكله الذى يصوغه فيه الشاعر، كما لا يمكن فصل المعانى فى جملتها عن المذهب الأدبى أو المطلب الاجتماعى الخاصين بكل عصر، وعلى الرغم من ذلك احتفظت لغة الشعر على مر العصور بمقومات فنية لازالت تنمو بفضل عباقرة الشعراء والنقاد فى مختلفى الآداب، وانتهت إلى العصر الحديث، وأثرت فى أدبنا نحن فى صياغته ومعانيه، كما أثرت فى فهم معنى التجربة." (٢)

وسوف نبين ملامح الشاعرية فى لغة شاعرينا فى شعر الاغتراب عندهما:

**أ . أبو فراس**

نشأ أبو فراس فى بيئة أدبية، وجد فيها من حوله يحبون الشعر والأدب، فالشعراء يتوافدون إلى قصور بنى حمدان، ولعل أبرزهم الشاعر الكبير المتنبى، وقد اتسم شعراء هذه الحقبة بحسن الصياغة وانسيابية الأسلوب، فتأثر أبوفرلس

(١) النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال ص ٣٨٠طبعة نهضة مصر.
(٢) السابق ص٤٠٩

بهذا الأسلوب الأدبى فتشكلت لديه شاعرية تتسم بسهولة الأسلوب وانسيابية العبارة، وحسن الصياغة، فنأى عن وعورة الألفاظ، وتعقيد التركيب، فتدفقت لغته . فى أغلبها- سهلة المنال، قريبة المأخذ، تتجلى فيها ملامح الحضارة أكثر من سمات البداوة، فنراه فى محنته القاسية . (الأسر) رغم ما يحوطه من قسوة وغلظة مادية ومعنوية . يعبر عن آلامه فى سهولة فيقول:

**أَما لَيلَةٌ تَمضي وَلا بَعضُ لَيلَةٍ أُسَرُّ بِها هَذا الفُؤادَ المُفَجَّعا**
**أَما صاحِبٌ فَرْدٌ يَدومُ وَفاؤُهُ يُصفي لِمَن أَصفى وَيَرعى لِمَن رَعى**
**أَفي كُلِّ دارٍ لي صَديقٌ أَوَدُّهُ إِذا ماتَفَرَّقنا حَفِظتُ وَضَيَّعا**
**أَقَمتُ بِأَرضِ الرومِ عامَينِ لا أَرى مِنَ الناسِ مَحزوناً وَلا مُتَصَنِّعا**
**إِذا خِفتُ مِن أَخوالِيَ الرومِ خُطَّةً تَخَوَّفتُ مِن أَعمامِيَ العُربِ أَربَعا**
**وَإِن أَوجَعَتني مِن أَعادِيَّ شيمَةٌ لَقيتُ مِنَ الأَحبابِ أَدهى وَأَوجَعا**
**وَلَو قَد رَجَوتُ اللَهَ لاشَيءَ غَيرَهُ رَجَعتُ إِلى أَعلى وَأَمَّلتُ أَوسَعا**(١)

فلغته الشعرية تسير فى سهولة وانسيابية، فسرعان ما يقرأ القارئ أول البيت حتى يأتى على آخره معجباً بما فيه من أداء فنى رقيق، وهذه سمة شعرية حاذى فيها أبو فراس حذو المتنبى رغم ما بينهما من إمكانات تعبيرية تفوق بها المتنبى على شعراء العرب.

ولو شئنا دليلاً على هذا التأثر لرجعنا إلى قصيدة المتنبى الذى يمثل مطلعها براعة الصياغة الفنية حين يقول:

**الرَأيُ قَبلَ شَجاعَةِ الشُجعانِ هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ المَحَلُّ الثاني**(٢)

وغيرها كثير وكثير.

ونرى الرقة والعذوبة الأسلوبية تبهرنا كثيراً فى روميات أبى فراس، ولعل قصيدته الشهير أراك عصى الدمع خير دليل على هذه السهولة يقول فيها:

**أَسِرتُ وَما صَحبي بِعُزلٍ لَدى الوَغى وَلا فَرَسي مُهرٌ وَلا رَبُّهُ غَمرُ**
**وَلَكِن إِذا حُمَّ القَضاءُ عَلى اِمرِئٍ فَلَيسَ لَهُ بَرٌّ يَقيهِ وَلا بَحرُ**

(١) ديوان أبو فراس ص ١٠٩
(٢) ديوان المتنبى ص٢٥١/٢ طبعة دار صادر

**وَقالَ أُصَيحابي الفِرارُ أَوِ الـرَدى فَقُلتُ هُما أَمرانِ أَحلاهُما مُـرُّ**
**وَلَكِنَّني أَمضي لِما لا يُعيبُنــي وَحَسبُكَ مِن أَمرَينِ خَيرَهُما الأَسرُ**
**يَقولونَ لي بِعتَ السَلامَةَ بِالـرَدى فَقُلتُ أَما وَاللهِ مانالَني خُسـرُ**
**وَهَل يَتَجافى عَنّيَ المَوتُ سـاعَةً إِذا ماتَجافى عَنّيَ الأَسرُ وَالضَرُّ**
**هُوَ المَوتُ فَاِختَر ماعَلا لَكَ ذِكرُهُ فَلَم يَمُتِ الإِنسانُ ماحَيِيَ الذِكرُ**
**وَلا خَيرَ في دَفعِ الرَدى بِمَذَلَّـةٍ كَما رَدَّها يَوماً بِسَوءَتِهِ عَمروُ**(١)

وإذا نظرنا إلى الأبيات نجد أنها لا تحتاج إلى تحليل لغوى يكشف عن مدلول الألفاظ، ورغم وضوحها فهى تفيض عن آخرها بقيم لفظية فنية متنوعة مثل حسن الاختيار وتموجات المقابلات التى جاءت مطبوعة وسوف يتضح ذلك بعد.

وإذا أردنا أن نقيم الأسلوب الشعرى فى إطار زمانى، فإننا نجد أن اللغة التى استخدمها أبو فراس شديدة الوضوح لأهل القرن الثالث الهجرى، فعلى الرغم من أننا نجد فى شعره بعض الألفاظ التى تحوجنا إلى مراجعة عقلية للسياق الشعرى لنستكشف من خلالها المدلول اللغوى، إلا أن هذه الألفاظ كانت أكثر وضوحاً للجمع الأدبى والعامى لأهل القرن الثالث الهجرى فنراه يقول:

**إِذا اللَيلُ أَضواني بَسَطتُ يَدَ الهَوى وَأَذلَلتُ دَمعاً مِن خَلائِقِهِ الكِبرُ**(٢)

فلفظ أضوانى يكتنفه بعض الغموض الذى سرعان ما يزول عند المراجعة التأملية للسياق، فيتضح أن معناها لأضعفنى، وهى أشد وضوحا للجمع العقلى لأهل القرن الثالث الهجرى، ومن ذلك أيضاً قوله فى مقدمته الغزلية:

**لَقَد ضَلَّ مَن تَحوي هَواهُ خَريدَةٌ وَقَد ذَلَّ مَن تَقضي عَلَيهِ كَعابُ**(٣)

فلفظ خريدة وكعاب يكشف السياق عن أنهما صفات حسن للمرأة، ومن ذلك أيضا قوله:

**نَعافُ قُطونَهُ وَنَمَلُّ مِنهُ وَيَمنَعُنا الإِباءُ مِنَ الزِيالِ** (٤)

(١) ديوان أبو فراس ص ٦٦
(٢) السابق ص ٦٤
(٣) السابق ص ١٣
(٤) السابق ص ١٢٨

وقوله فى نفس القصيدة:

**تَرَكتُ ذَوابِلَ المُرّانِ فيها مُخَضَّبَةً مُحَطَّمَةَ الأَعالي** (١)

وقوله:

**وَرَأَينَ بَطنَ العَيرِ ظَهرَ عُراعِرٍ وَالرومَ وَحشاً وَالجِبالَ رِمالا**(٢)

فالألفاظ: قطوفه، الزيال، ذوابل، المران، عراعر،...كلها ألفاظ تحتاج إلى مراجعة معجمية لنتبين معناها، ورغم ذلك فهذه الألفاظ قليلة ونادرة فى شعر أبى فراس.

ومن مظاهر الأسلوب الشعرى عنده أيضا استلهام التراث الدينى والأدبى، وهذا النمط الأسلوبى لا يؤتى ثماره إلا إذا كان الشاعر منتقياً من الأساليب ما يوافق تجربته ويساعده على رسم أجوائها بحيث تكون الصورة متسقة مع الوجدان لا ملتصقة بالأسلوب، فمن ذلك قوله فى تصوير الحساد من حوله:

**هُمُ يُطفِؤونَ المَجدَ وَاللهُ موقِدٌ وَكَم يَنقُصونَ الفَضلَ وَاللهُ واهِبُ**(٣)

فقد تأثر بقوله تعالى " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره المشركون " (٤) وقد أجاد الشاعر فى هذا التوظيف لأنه اعتمد على ما يحيط بالآية القرآنية من أجواء وظلال وإشعاعات وحاول إلقائها على المعنى الذى يقصده، فلئن كان المشركون يحاولون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، مما يدل على الكراهية والحقد الذى تمتلئ به نفوسهم، ويكشف كذلك عن تفاهة فعلهم، فأين مايفعلونه بأفواههم من قوة نور الله ؟!فلئن كان المشركون على هذا النحو من الضعف والحقد، فكذلك حساد الشاعر أشد حقداً وأكثر ضعفاً، وقد استطاع أبو فراس أن يستغل هذه الإشعاعات ليبين أن أعداءه أشد ضعفاً من أن يطفئوا مجده الأثيل.

(١) ديوان أبو فراس ص ١٢٨
(٢) السابق ص ١٤١
(٣) السابق ص ٢٤
(٤) سورة الصف آية(٨)

ورغم هذه الجودة فى الاقتباس من القرآن الكريم إلا أن أنه كان قليلاً فى شعره، وقد استلهم أبو فراس أشعار سابقيه ومعاصريه، فوظف بعض الأشعار التى جاءت فى أشعارهم، من ذلك قوله وقد أقبل العيد وهو فى الأسر:

**يا عيدُ ما عُدتَ بِمَحبوبٍ عَلى مُعَنّى القَلبِ مَكروبِ**
**ياعيدُ قَد عُدتَ عَلى ناظِرٍ عَن كُلِّ حُسنٍ فيكَ مَحجوبِ**(١)

فقد تأثر بالمتنبى فى قصيدته الشهيرة التى قالها عند خروجه من مصر:

**عيدٌ بِأَيَّةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ بِما مَضى أَم بِأَمرٍ فيكَ تَجديدُ**(٢)

ورغم أن بين البيتين تقارب شديد فى المعنى والتجربة، إلا أن هناك فرق شاسع بين أسلوب الصياغة عند المتنبى الذى اتسم برشاقة الأسلوب ورعة التركيب والتصوير فقد رسم لنا زفرة حارقة تتقد جذوتها فى نفس المتنبى، وقد زاد فى تأثيرها المفارقة البعيدة بين بهجة العيد وآلام الشاعر، ثم إنه يكشف عن حيرة ممزوجة بالأمل فى غد مشرق، وهذه هى مشاعر المتنبى وتجربته.

أما أبو فراس فقد كان إحساسه بالعيد ضيقاً إذ لم ير قيه إلا فقدان الأحبة، وهذا أفقده الإحساس بحلاوة وبهجة العيد، لذا جاء بيته أكثر ضيقاً ومحدودية من بيت المتنبى الذى اتسم بالتعبير عن المفارقات النفسية بوضوح، ورغم هذا فقد عبر الحمدانى عن المعنى الذى فى نفسه فى صياغة مباشرة، ولا يقلل منها مقابلتها بأبيات والمتنبى ولكن العلاقة اللفظية بينهما هى التى خلقت مثل هذه الموازنة.

وقد بدت ملامح التأثر بالقدماء فى قوله:

**خَليلَيَّ ما أَعدَدتُما لِمُتَيَّمٍ أَسيرٍ لَدى الأَعداءِ جافي المَراقِدِ؟**(3)

فمن سمات الشعر القديم التجريد، وهو أن يشتق الشاعرمن نفسه رفيقاً ينادمه ويسامره، وقد أحسن الشاعر فى هذا التأثر لأنه فى رحلته أحوج ما يكون إلى رفيق يبثه أحزانه وأوجاعه.

(١) ديوان أبو فراس ص ٣٦
(٢) ديوان المتنبى ص ٣٩٦/٢
(٣) ديوان أبو فراس ص ٣٦

وقد قلد القدماء دون جدوى فنية حين رمز لمحبوبته باسم شائع عند القدماء:

**كَأَنّي أُنادي دونَ مَيثاءَ ظَبيَةً عَلى شَرَفٍ ظَمياءَ جَلَّلَها الذُعرُ**(١)

واختيار هذا الاسم يدل على أن التجربة فى المقدمة الغزلية فى قصيدة أراك عصى الدمع لا تنبع من موقف حقيقى، وإنما هى رمز لأحلام الشاعر وأمله فى العودة إلى دياره (محبوبته)، وما تشوقه إلا إلى موطنه الذى رمز له بالمحبوبة.

وقد أجاد أبو فراس فى اختيار بعض الألفاظ التى ترسم ملامح تجربته، وهى سمة أسلوبية لابد من توفرها فى كل شاعر لأن هذا يدل على الثراء الفنى الذى يميز الموهبة الشعرية، فمن الألفاظ الجيدة عنده قوله:

**فَيا مُلبِسي النُعمى الَّتي جَلَّ قَدرُها لَقَد أَخلَقَت تِلكَ الثِيابُ فَجَدِّدِ**(٢)

فلفظ (ملبسى) يدل على تجدد الفعل وهو يدل على نعم وآلاء سيف الدولة على الشاعر، ثم يتلو هذا اللفظ بالصورة المقابلة أخلقت ليبين الفرق الشاسع بين الحالتين، فاختيار اللفظ هنا فعال فى رسم أجواء التجربة، ونراه لا يستخدم لفظاً آخراً مثل مزقت، لأن التمزيق يقتضى أن تستبدل الثياب . ومن ثم النعم . بأخرى مما قد يوهم بأنه صرف وده إلى غيره، ولكن الشاعر اختار اللفظ الذى يدل على إخلاصه ووفائه لسيف الدولة أليس هو القائل:

**فَلا تَلبَسُ النُعمى وَغَيرُكَ مُلبِسٌ وَلا تُقبَلُ الدُنيا وَغَيرُكَ واهِبُ**(٣)

ولعل قصيدة أراك عصى الدمع وهى درة الروميات تفيض عن آخرها بالألفاظ التى عنى الشاعر باختيارها بدقة، فمن ذلك وصفه لخضوعه لسلطان محبوبته ولكن بلغة تتضمن كثيراً من الترفع والتعالى حيث يقول:

**أَراكَ عَصِيَّ الدَمعِ شيمَتُكَ الصَبرُ أَما لِلهَوى نَهيٌ عَلَيكَ وَلا أَمرُ**
**إِذا اللَيلُ أَضواني بَسَطتُ يَدَ الهَوى وَأَذلَلتُ دَمعاً مِن خَلائِقِهِ الكِبرُ**
**تَكادُ تُضيءُ النارُ بَينَ جَوانِحي إِذا هِيَ أَذكَتها الصَبابَةُ وَالفِكرُ**
**تُسائِلُني مَن أَنتَ وَهيَ عَليمَةٌ وَهَل بِفَتىً مِثلي عَلى حالِهِ نُكرُ**

(١) السابق ص ٥٢
(٢) ديوان أبو فراس ص ٦٥
(٣) السابق ص ٢٤

**وَإِنّي لَجَرّارٌ لِكُـلِّ كَتيبَـةٍ مُعَوَّدَةٍ أَن لايُخِلَّ بِها النَصرُ**
**وَإِنّي لَنَزّالٌ بِكُلِّ مَخــوفَةٍ كَثيرٌ إِلى نُزّالِها النَظَرُ الشَزرُ**(١)

فنرى (عصى الدمع، إذا الليل أضوانى، تكاد تضئ، تسائلنى....) فلفظ عصى يرسم صورة موحية من خلال التشديد للدلالة على القسوة والشدة التى يعانيها الدمع، مما يدل على نفسه الأبية التى ترفض أن تذل، والفعل تكاد جعل للأمر حداً يقف عنده فلا يصل إلى منتهاه مما يجعل نفسه ذليلة فى حب محبوبته، ودلالة لفظ يضئ يكشف عن منزلته فى قومه فهو ضوء يهدى وليست ناراً تحرق، وفى المقابل نرى الألفاظ التى تكشف عن كريم صفاته بصيغة المبالغة، وهى متعددة مما يدل على الثبوت والدوام والمبالغة فى الفعل، فنرى (إنى لنزال، إنى لجرار)، وفى لفظ تسائلنى دلالة إيحائية فهو يكشف عن تعجب الشاعر من هذه المحبوبة (الرمز) التى تسأله عن اسمه، وهو سؤال ولكن الشاعر جعله تساؤلا ليكشف عن تعجبه من هذه المحبوبة مما يعكس مرارته لنسيانه فى الأسر وأنه قد صار نسياً منسيا.

ثم نرى الإيحاء الإيقاعى حين يقول:(الليلة الظلماء) فإيقاع الظلماء رسم صورة من خلال حرف المد لقومه وقد أحاط بهم الظلام لافتقادهم هذا الفارس كما يفتقد البدر فى الليلة الظلماء، هذا فضلا عن تميّزه فى توظيف الفعل المضارع للدلالة على الاستمرارية فنرى تروغ، تضئ، تسائلنى.....

هذه هى أهم سمات الألفاظ عند شاعرنا.

**ب . المعتمد.**

إذا كنا قد لاحظنا سهولة الأسلوب عند أبى فراس فإن المعتمد كان أكثر غموضاً والتواءاً، فلا نرى الانسيابية أو السهولة التعبيرية التى رأيناها فى شعر الحمدانى، فقد مال إلى استعمال الألفاظ الغريبة التى تحوجنا إلى مراجعة المعاجم ففى قصيدته إلى شاعره الدانى التى يشكو فيها جور الزمان، يقول:

**إِلَيكَ النزْر مِن كَفِّ الأَسيرِ فان تقبلْ تَكُن عين الشُكور**
**تقبَّل ما يَذوبُ لَهُ حَيـاءً وَإِن عَذَرَتهُ حالاتُ الفَقيرِ**

(١) السابق ص ٢٤

**وَلا تَعجَب لِخَطبٍ غَضّ منهُ أَلَيسَ الخَسفُ مُلتَزِمُ البُدورِ**
**وَرَجِّ بِجَبرِهِ عُقبى نَداهُ فَكَم جَبَرَت يَداهُ مِن كَسيرِ**
**وَكَم أَعلَت عُلاهُ مِن حَضيضٍ وَكَم حَطَّت طُباهُ مِن أَميرِ**
**وَكَم أَحظى رِضاهُ مِن حَظيٍّ وَكَم شهرت عُلاهُ مِن شَهيرِ**
**وَكَم مِن مِنبَرٍ حَنّت إِلَيهِ أَعالي مُرتَقاهُ وَمَن سَريرِ**(١)

فنرى فى بعض الألفاظ الغموض من مثل قوله ظباهُ... وَرَجِّ... أَحظى...الخَسفُ) وهذه الوعورة وإيقاع الكلمات وتأليفها فى بعض الألفاظ أدت إلى ثقل يستشعره القارئ لهذه الأبيات.

وقد كان من سمات الشعر فالأندلس تأثره الشديد بشعراء المشرق، " إن هذا الشعر فى أغراضه المتعددة لا يختلف كثيراً عن الشعر الشرقى بل لعله لم يكن فى مرتبته من حيث المعانى والصور الفكرية "(٢) ورغم هذا فقد مالوا إلى جزالة اللفظ ومتانته، وربما كان السبب فى هذ التأثر بالشرق وغلبة النزعة العربية على نفس ملوك وحكام الأندلس.

ونرى المعتمد يصف الخادم الذى صرف ابن حميدس الشاعر بعدما أراد زيارته فى سجنه:

**وَلَم يَبقَ إِلا كُلُّ أَدكَنَ أَلكَنٍ فَلا آذِنٌ في الإذن يبرأ من عر**(٣)

ورغم وعورة الألفاظ أدكن (المغبر اللون) أدكن(ثقيل اللسان) عر(السوء)، إلا أنها بخشونتها ووعورتها أكثر ملائمة لرسم صورة الخشونة التى يعانيها الشاعر فى كل شئ حوله حتى فى ألفاظ شعره.

ويمثل ظاهرة وعورة الألفاظ عند المعتمد قوله وقد رأى سربا من الحمام:

**فاِسرح لا شملي صَديعٌ ولا الحَشا وَجيعٌ وَلا عَيناىَ يُبكيهِما ثَكلُ**(٤)

(١) ديوان المعتمد ص ١٠٢
(٢) فى الأدب الأندلسى د/ جودت الركابى ص١٢٢ دار المعارف
(٣) ديوان المعتمد ص ١٠١
(٤) السابق ص ١١١

وربما أحس المعتمد وعورة ألفاظه فأراد أن يعطى البيت رشاقة تنبع من موسيقاه حين جانس جناساً ناقصاً بين صديع ووجيع، ولكن هذا التأليف الموسيقى ليس منسجماً مع البيت حتى يكون مؤثراً فى الوجدان أو راسماً لتتابع إيقاعى فى نفسه.

ورغم أنه شاعت الألفاظ الوعرة عند المعتمد إلا إنه تأخذه الرقة فى بعض الأحيان فيقول:

**مَن يَصحَبِ الدَهر لَم يَعدَم تَقَلّبَهُ وَالشَوكُ يَنبُتُ فيهِ الوَردُ والآسُ**
**يَمُرّ حينا وَتَخلو لي حَوادِثُـهُ فَقَلَّما جَرحت إلاانثَنَت تاسو** (١)

والتقليد للمشارقة كان سمة بارزة فى الشعر الأندلسى لذا رأينا المعتمد يميل إلى تقليد المشارقة فيقول:

**لا نُرَع لِلدَمع في آماقِنا مَزَجته بِدَمٍ أَيدي الحُـرَقْ**
**حَنِقَ الدَهرُ عَلَينا فَسَطا وَكَذا الدَهرُ عَلى الحرّ حَنِقْ**(٢)

وقد قال ابن بسام فى الذخيرة "حكي عن رجل أنه رأى في منامه إثر الكائنة عليهم كأن رجلاً صعد منبر جامع قرطبة واستقبل الناس ينشدهم:

**رب ركب قد أناخوا عيسهم في ذرى مجدهم حين بسق**
**سكت الدهر زماناً عنهم ثم أبكاهم دماً حين نطق**

فلما سمع المعتمد ذلك أيقن أنه نعي لملكه، وإعلام بما انتثر من سلكه، فقال:

من عزا المجد إلينا قد صدق لم يلم من قال مهما قال حق "(٣)

وهى القصيدة التى معنا، والعلاقة بين المعنيين واضحة مما يؤكد التأثر، وصورة سكت أكثر جمالا من صورة حنق لأن الشاعر أتبعها بصورة بسق التى كشفت عن مفارقة شديدة بعيدة التأثير فى رسم شدة الحدث، ثم إن صورة المعتمد التى مزج الدمع بالدم أقل أثراً من صورة بكاء الدم، ومن هنا يمكن القول بأن صورة المعتمد أدت إلى سطحية الصورة واتباعها للشعر المشرقى.

(١) ديوان المعتمد ص ١٠٧
(٢) ديوان المعتمد ص ١٠٩
(٣) الذخيرة لابن بسام ١١٥/٢ تحقيق إحسان عباس طبعة دار الثقافة سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م

ومن ملامح الاقتباس الشعرى عنده:

**فَيا لَيتَ شِعري هَل أَبيتنّ لَيلَةً أَمامي وَخَلفي رَوضَةٌ وَغَديرُ**(١)

ومن أظهر صور الاقتباس الشعرى قوله:

**فَهاكَها قِطعةً يَطوي لَها حَسَداً السَيفُ أَصدَقُ إِنباءً مِنَ الكُتُبِ**(٢)

وهو يتباهى بشاعريته وأن شعره فى منزلة قصيدة أبى تمام لذا جاء الاقتباس سطحياً ليس وراءه كبير معنى.

وبذلك فإن اقتباسات المعتمد لا ترقى لأن تكون إضافة للتجربة الشعرية، وإنما هى ألفاظ تتشابه بينه وبين من تناولوا المعنى قبله، والملاحظ أنه لم يقتبس من القرآن الكريم وهذا يدلل على أنه لم يهتم بالصيغة الفنية للنص المقتبس.

أما عن اختيار اللفظ وتوظيفه من حيث إيحائه الدلالى والإيقاعى، فنرى هذه الظاهرة تبدو بوضوح فى شعر ه الذى يبين ما أصاب بناته من سوء الحال، فنراه يستخدم جمع التكثير لبيان شدة البلوى، فيقول:

**أأرغب أن أعيش أرى بناتى عوارى قد أضر بها الحفاء**
**خوادم بنت من قد كان أعلى مراتبه . إذا أبدو. النداء** (٣)

فصيغة فواعل (خوادم) دلت على عمق فى المعنى وإحساس شديد بالحزن.

ونرى صورة القيد تتكرر بصورة مؤثرة ودالة فى قوله:

**من الدُهمِ أَمّا خلقُها فأساوِدٌ تَلَوّى وَأَمّا الأَيدُ وَالبَطشُ فالأَسَدُ**(٤)

فإيقاع المد فى أساود أدى إلى خلق جو من الامتداد وتمكن القيود منه مما رسم صورة الألم بوضوح.

وبعد فإن أبا فراس كان أميل إلى السليقة والطبع فى معالجته للألفاظ من المعتمد الذى كان أكثر تقليداً للمشارقة.

**الأسلوب.**

(١) ديوان المعتمد ص ٩٩
(٢) ديوان المعتمد ص ٩٢
(٣) ديوان المعتمد ص ٩٠
(٤) السابق ص ٩٤

**أ/ عند أبى فراس**

لعل من أبرز الأساليب الإنشائية التى استخدمها أبو فراس أسلوب الاستفهام والنداء ووراء ذلك دوافع نفسية ووجدانية، فحين تتجلى فى أشعاره معانى الحكمة والتأمل فى أسرار الحياة، يستخدم أسلوب الاستفهام بما فيه من مرارة لرسم صورة صروف الدهر فيقول:

**وَهَل يَدفَعُ الإِنسانُ ماهُوَ واقِعٌ وَهَل يَعلَمُ الإِنسانُ ماهُوَ كاسِبُ**
**وَهَل لِقَضاءِ اللهِ في الناسِ غالِبٌ وَهَل مِن قَضاءِ اللهِ في الناسِ**
**وَهَل يُرتَجى لِلأَمرِ إِلا رِجالُهُ وَيَأتي بِصَوبِ المُزنِ إِلا السَحائِبُ**(١)

ورغم أنه تسيطر عليه عاطفة الاستسلام لقضاء الله إلا أنه يجعل شجاعته وبأسه فى الحرب من قرد الله أيضا وهذه محاولة للفخر أيضاً.

ويسيطر عليه شعور الاستسلام لقضاء الله تعالى حين يأتيه خبر وفاة ابن أخته فيقول:

**يامَن أَتَتهُ المَنايا غَيرَ حافِلَةٍ أَينَ العَبيدُ وَأَينَ الخَيلُ وَالخَوَلُ**
**أَينَ اللُيوثَ الَّتي حَولَيكَ رابِضَةً أَينَ الصَنائِعُ أَينَ الأَهلُ ما فَعَلوا**
**أَينَ السُيوفَ الَّتي يَحميكَ أَقطَعُها أَينَ السَوابِقُ أَينَ البيضُ وَالأَسَلُ**(٢)

وتكرار أين يكشف عن جانب مهم وإحساس الشاعر المتكرر بالألم، فهو ألم لا يستطيع له دفعا، وقد ذكر الشاعر بعض الأشياء التي توهم بالقوة، والتى تمثلت فى، العبيد، الخيل، الفرسان، الليل، الأهل، السيوف" ولكن مصير هذه القوة هو العجز والاستسلام، وتتأجج نفسه وإحساسه بالعجب من مفارقات الحياة فيقول:

**أَيَضحَكُ مَأسورٌ وَتَبكي طَليقَةٌ وَيَسكُتُ مَحزونٌ وَيَندِبُ سالِ**(٣)

ولعل ضحك الشاعر يكشف عن مدى سخريته من مفارقات الزمان وتقلب أحوال الدهر.

وبذلك نرى أن الاستفهام عند أبى فراس يجسد لنا العجز عن تحدى الأقدار، ويصور أيضاً ضآلة الإنسان فى مواجهة مقدراته التى لا يستطيع لها

(١) ديوان أبى فراس ص ٢٤
(٢) السابق ص ١٣٨، ١٣٩
(٣) السابق ص ١٢٦

دفعا ولا صرفا، وهذا يكشف لنا عن ملمح العاطفة العام الذى يسيطر على الشاعر فأسره ليس دليلاً على ضعفه وإنما هو قدر الله تعالى، ولا راد لأمره، وبهذا نرى أن الاستفهام وسيلة مؤثرة فى رسم أجواء التجربة الشعرية عند أبى فراس.

أما أسلوب الأمر فلم تكن له قوة فعالة فى بناء لوحة تعبيرية ترسم أجواء التجربة ؛ وذلك لأنه اعتمد على فكرة واحدة وهى طلب الغوث والنجدة، فانحصرت الرؤية التعبيرية فى هذا المعنى دون سواه فيقول:

**فَلا تَترُكِ الأَعداءَ حَولي لِيَفرَحوا وَلا تَقطَعِ التَسآلَ عَنّي وَتَقعُدِ**
**وَلا تَقعُدَن عَنّي وَقَد سيمَ فِديَتي فَلَستَ عَنِ الفِعلِ الكَريمِ بِمُقعَدِ**
**فَكَم لَكَ عِندي مِن إِيادٍ وَأَنعُمٍ رَفَعتَ بِها قَدري وَأَكثَرتَ حُسَّدي**
**تَشَبَّث بِها أُكرومَةً قَبلَ فَوتِها وَقُم في خَلاصي صادِقَ العَزمِ وَاِقعُدِ**(١)

وجمال النهى هنا يتمثل فى تتابعه وتسارعه للكشف عن شعوره الملح لنجدته، ويتأكد هذا المعنى حين يقدم أسلوب النهى على أسلوب الأمر، وهذا يؤكد خشية أبى فراس من أن يستمع الملك للوشاة والحاقدين فيتقاعس عن نجدته، يؤكد هذا المعنى فى قوله: رَفَعتَ بِها قَدري وَأَكثَرتَ حُسَّدي.

وإذا أردنا أن نقابل بين الأسلوب الخبرى والإنشائى، فإننا نجد أن أبا فراس كان أكثر توظيفاً للأسلوب الخبرى أكثر من الأسلوب الإنشائى، وهذا يرجع إلى أنه أكثر حاجة لتصوير مشاعره وآلامه فجاء كلامه على سبيل الإخبار، يقول:

**مُصابي جَليلٌ وَالعَزاءُ جَميلُ وَظَنّي بِأَنَّ اللهَ سَوفَ يُديلُ**(٢)

فهو أكثر حاجة لنقل مشاعره وآلامه ليسعى الملك إلى افتدائه.

وقد يكون الدافع عنده لكثرة الأسلوب الخبرى غلبة عاطفة الفخر، فيلجأ إلى أسلوب التأكيد، فيقول:

**وَإِنّي لَجَرّارٌ لِكُلِّ كَتيبَةٍ مُعَوَّدَةٍ أَن لايُخِلَّ بِها النَصرُ**
**وَإِنّي لَنَزّالٌ بِكُلِّ مَخوفَةٍ كَثيرٌ إِلى نُزّالِها النَظَرُ الشَزرُ**
**فَأَظمَأُ حَتّى تَرتَوي البيضُ وَالقَنا وَأَسغَبُ حَتّى يَشبَعَ الذِئبُ وَالنَسرُ**

(١) ديوان أبو فراس ص ٥١
(٢) السابق ص ١٣٥

**وَلا أُصبِحُ الحَيَّ الخَلوفَ بِغارَةٍ وَلا الجَيشَ مالَم تَأتِهِ قَبلِيَ النُذرُ**
**وَيارُبَّ دارٍ لَم تَخَفني مَنيعَةٍ طَلَعتُ عَلَيها بِالرَدى أَنا وَالفَجرُ**
**وَحَيٍّ رَدَدتُ الخَيلَ حَتّى مَلَكتُهُ هَزيماً وَرَدَّتني البَراقِعُ وَالخُمر** (١)

أما الظاهرة الأسلوبية الثانية عند أبى فراس فهى التكرار، وهو ظاهرة أسلوبية فعالة حين يوظفها الشاعر فى نقل مشاعره وأحاسيسه، وهو " إلحاح على وجهة هامة فى العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها" (٢)

وقد قسمت نازك الملائكة التكرار إلى تكرار حرف وتكرار كلمة وتكرار جملة وتكرار مقطع، ومن الضرورى أن تكون الدوافع النفسية لاختيار الأسلوب وطيدة الصلة بشعور الشاعر، وإلا يعد هذا الأمر هروباً من مواصلة أجزاء التجربة الشعرية، مما يكشف عن نضوب العاطفة.

وقد استخدم أبو فراس تكرار الجملة بصورة واضحة تلفت الانتباه فنراه وقد بلغه خبر وفاة أمه مما زاد عليه الأسر قسوة، فيقول:

**أَيا أُمَّ الأَسيرِ سَقاكِ غَيثٌ بِكُرهٍ مِنكِ ما لَقِيَ الأَسيرُ**
**أَيا أُمَّ الأَسيرِ سَقاكِ غَيثٌ تَحَيَّرَ لايُقيمُ وَلا يَسيرُ**
**أَيا أُمَّ الأَسيرِ سَقاكِ غَيثٌ إِلى مَن بِالفِدا يَأتي البَشيرُ**
**أَيا أُمَّ الأَسيرِ لِمَن تُرَبّى وَقَد مُتِّ الذَوائِبَ وَالشُعورُ** (٣)

وقد بدت براعة الأسلوب حين كرر الشاعر الجملة التى تكشف عن ألمه، فاستخدم أسلوب النداء للبعيد ؛ليصور ما بينهما من مسافات زمانية ومكانية فعلتها يد الزمن، وتكرار أم يكشف عن مدى حبه لها، وتكرار الأسير يكشف عن ألمه وإحساسه بالقسوة، وقد قرن الأم بالأسير ؛ليكشف عن المفارقة بين حنو الأم وقسوة الأسر ليزيد فى رسم مشاعره المتألمة، وتكرار الجملة رسم صورة تضاعف هذا الألم فى نفسه، وقد كثر أسلوب التكرار فى هذه القصيدة، فقد كرر أيضا

(١) السابق ص٦٥، ٦٦
(٢) قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة ص ٤٦٧ طبعة دار العلم للملايين الطبعة السابعة
(٣) ديوان أبو فراس ص٦٧

جملة (ليبكيك) فى مطلع أربعة أبيات متتالية، وهذا يكشف عن نفسه الذبيحة، وقد كرر الفعل(قعد) ثلاث مرات، فقال:

**فَلا تَترُكِ الأَعداءَ حَولي لِيَفرَحوا وَلا تَقطَعِ التَسآلَ عَنّي وَتَقعُدِ**
**وَلا تَقعُدَن عَنّي وَقَد سيمَ فِديَتي فَلَستَ عَنِ الفِعلِ الكَريمِ بِمُقعَدِ**
**تَشَبَّث بِها أُكرومَةً قَبلَ فَوتِها وَقُم في خَلاصي صادِقَ العَزمِ وَاِقعُدِ**
**وَلا بَلَغَ الأَعداءُ أَن يَتَناهَضوا وَتَقعُدَ عَن هَذا العَلاءِ المُشَيَّدِ** (١)

وقد جاء التكرار لخدمة شعوره وتصوير ألمه، ويلاحظ أنه لم يستخدم الأسلوب القصصى فى الكشف عن مشاعره بل عمد إلى الشعر الغنائى الذى يصور الأوجاع والانفعالات التى تراود نفسه بين الحين والآخر.

**ب . الأسلوب عند المعتمد:**

خص المعتمد أسلوب الاستفهام من بين الأساليب الإنشائية للتعبير عن رؤيته الشعرية وألقى عليه ظلالا تعبيرية تكشف عن خفايا نفسه وإحساسه بالمعاناة، لذا غلب عليه الإحساس بالحسرة والألم، فنراه فى أسلوب الاستفهام يكشف عن إحساسه بقسوة الحياة، فيقول:

**دعا لى بالبقاء وكيف يهوى أسير أن يطول به البقاء**
**أليس الموت أروح من حياة يطول على الشقى بالشفاء**
**أأرغب أن أعيش أرى بناتى عوارى قد أضر بها الحفاء** (٢)

فالأسلوب الاستفهامى رسم أعماق النفس الذبيحة التى ترى فى الموت راحة من الأسر، وقد كشف المعتمد عن طبيعة النفس البشرية المحبة للحياة، فاستخدم الفعل يهوى ؛ليكشف عن المفارقة البعيدة بين طمع الإنسان فى الحياة ويأس المعتمد منها، ولا ينسى أن يعطينا بعض المبررات لهذا اليأس، فيقول: الحفاء... أضر... الشقى...عوارى.

وتسيطر عليه عاطفة السخرية حين يقول للمنجم :

**أَرمدتَ أَمْ بِنَجومك الرمدُ فَقَد عادَ ضدّا كُلُّ ما تَعِدُ**

(١) ديوان أبو فراس ص٥١
(٢) ديوان المعتمد ص ٩٠

**هَل في حسابك ما تُؤَمِّلُهُ أَم قَد تَصَرَّمَ عِندَكَ الأمدُ**
**فَالآن لا عَينٌ وَلا أَثَرٌ أَتَراكَ غَيَّبَ شخصكَ البَلَدُ**[1]

أما عن الأسلوب الخبرى فقد بدا بصورة غاية فة فى الروعة والجمال عند المعتمد حيث رسم من خلاله صوراً نادرة لآلامه فى السجن فكشف عن فداحة المأساة، يقول:

**فيما مَضى كُنتَ بِالأَعيادِ مَسرورا فَساءَكَ العيدُ في أَغماتَ مَأسورا**
**تَرى بَناتكَ في الأَطمارِ جائِعَةً يَغزِلنَ لِلناسِ ما يَملِكنَ قَطميراً**
**بَرَزنَ نَحوَكَ لِلتَسليمِ خاشِعَةً أَبصارُهُنَّ حَسراتٍ مَكاسيرا**
**يَطأنَ في الطين وَالأَقدامُ حافيَةٌ كَأَنَّها لَم تَطأ مِسكاً وَكافورا**
**لا خَدَّ إِلا تَشكّى الجَدبَ ظاهِرهُ وَلَيسَ إِلا مَعَ الأَنفاسِ مَمطورا**[2]

وقد كان أكثر الدلالات التى استخدمها الشاعر لرسم صورة الفجيعة المفارقة بين الماضى والحاضر وقد ساعده فى ذلك الأسلوب الخبرى.

أما أسلوب التكرار فقد استخدم تكرار اللفظ فى موضعين فقال:

**إِن يسلب القَومُ العدا مُلكي وتسلمني الجُموعُ**
**القَلبُ بَينَ ضُلوعِه لَم تسلم القَلبَ الضُلوعُ**
**لَم أَستَلَب شرفَ الطبا ع أيسلَبُ الشَرفُ الرَفيعُ**[3]

فاللفظ المكرر كشف عن نفسه التى سلبت، ولا تخفى دلالة الفعل سلب فى الكشف عن رأيه فيمن استولوا على ملكه، واقتران الاستفهام بالفعل فى قوله أيسلب الشرف الرفيع؟ يوضح مدى فخره واعتزازه بأصله، وهذه الأبيات كانت فى أول الكارثة، أما وقد أسر فقد بدت مشاعر الألم تسيطر عليه فيوظف التكرار فى رسم صورة البكاء، فيقول:

**بَكى المُبارَكُ في إِثرِ ابن عَبّادِ بَكى عَلى أَثَر غِزلانٍ وَآسادِ**
**بَكَت ثُرَيّاهُ لا غُمَّت كَواكِبُها بِمِثلِ نَوءِ الثرَيّا الرائح الغادي**

(١) السابق ص ٨٧
(٢) ديوان المعتمد ص ١٠٠، ١٠١
(٣) السابق ص ٨٨.

**بَكىَ الوَحيدُ بَكى الزاهي وَقُبَّتُهُ وَالنَهرُ وَالتاجُ كُلٌّ ذُلُّهُ بادي** (١)

وتكرار الفعل بكى رغم أنه يعبر عن بكاء عناصر الطبيعة من حوله والتى كانت تشاركه حياة الملك والدعة، إلا أنه يصور بكاءه هو، وهذا التعبير رسم بقوة مشاعر المعتمد الذى تمنى أن يعود يوماً إلى ملكه، أما أبو فراس فقد كان أكثر تجلداً وصبراً، ولم ينسب البكاء لنفسه، بل جعل أمه هى التى تبكى عليه.

وبعد فليس معنى هذا تفوق أحدهما عن الآخر وإنما أجاد كل واحد منهما فى التعبير عن مشاعره.

## ثانياً: الصورة الشعرية

غلب على صور القدماء أن تكون بيانية بما تنقسم إليه من تشبيه استعارة وكناية، والصور البيانية عندهم لم تكن مجرد زخرفة شكلية تقوم على علاقة التماثل الحسى بين الأشياء، أو أنها تسعى لإلقاء ألوان من البهاء الجمالى الشكلى على القصيدة، وإنما غايتها فى المقام الأول تعبيرية، بحيث تؤدى دوراً فى نقل فكرة الشاعر أو شعوراً نفسياً بستشعره، من هنا كانت العلاقة بين التصور والتصوير علاقة متنامية استتباعية، فليس ثمة تصوير دون تصور حقيقى يستشعر الشاعر أبعاده وزواياه النفسية.

وعلى هذا فليس وظيفة الصورة إبراز التشابه بين العناصر، وإنما غايتها " التقريب بين حقيقتين متباعدتين كثيراً أو قليلاً، وكلما كانت العلاقات بين الحقيقتين اللتين يقرب بينهما الشعر بعيدة ودقيقة، كانت الصورة أقوى وأقدر على التأثير وأغنى بالحقيقة الشعرية " (٢).

وبهذا فإن الصورة هى الوسيلة الفنية الأقدر على تخليق الجمال فى النص الشعرى " فهى تبعث الحياة فى الجمادات، وتبث الروح فى كل ما يتناوله الشاعر فيها، من مظاهر الحياة والواقع وجوامد ما يقع تحت الحس فى الطبيعة، فتتعانق

(١) السابق ص ٩٥

(٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة د/ على عشرى زايد: ص ٧٠. دار مرجان للطباعة. الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م.

هذه الظواهر كلها بعضها مع بعض، وتتآلف فى تعاطف وتجاوب، فهى وسيلة التعرف على أسرار الحياة والعلاقة التى تربط الإنسان بغيره من المخلوقات " [١]

**أ. الصورة الشعرية عند أبى فراس:**

اعتمد أبو فراس على التشبيه فى شعره باعتباره وسيلة تصويرية، وكان التشبيه الحسى أكثر الأنواع ظهوراً فى شعره، وقد حاول أن يجعل عناصر الصورة الشعرية أكثر التصاقا بشعوره، فنراه يقول فى وصف محبوبته:

**لك جسم الهوى وثغر الأقاحى ونسيم الصبا وقد القضيب[٢]**

فقد حاول أبو فراس أن يعطينا صورة متكاملة تعتمد على التشبيه فى وصف الجمال الجسدى لمحبوبته، فجسم هذه المحبوبة تمثل فيه الهوى والحب، وهذا وصف عام لجسدها أراد الشاعر أن يلقى عليه نوعاً من التفصيل الذى لا يخلو من التقليد لمعانى وصور السابقين، فثغر محبوبته ثغر الأقاحى، معتمداً فى هذا التصوير على عنصر الطعم، ثم ينتقل إلى رائحتها مبيناً ما بينها وبين نسيم الصبا من تشابه شديد، ثم ينتقل إلى عنصر آخر وهو الشكل العام وهو أن قدها كقد القضيب، وصورة (جسم الهوى) فيها بعض الغموض لأنه جمع بين أمرين أحدهما حسى (الجسم) والآخر معنوى (الهوى)فما هذا الذى يدعوه جسم الهوى ؟ وما علاقة (الهوى) بجسم المحبوبة؟ فهل يقصد أنها نموذج تتعلق به الأهواء والقلوب ؟ إن كان كذلك فالأولى أن يقول لها سحر الهوى مثلاً حتى يجعل لروحها سحراً يتسلل إلى القلوب، وعلى كل فالشاعر آثر السلامة فى تكوين عناصر تصويره فاختار للمحبوبة صوراً مما يعلمه هو وما يعلمه الناس من مدركات حسية حول علاقة جسد المرأة بعناصر الطبيعة من الأقاحى والنسيم والقضيب وكلها لم تضف جديداً يجعل الصورة مبتكرة، وإذا أردنا أن نكشف عن علاقة هذه الصورة بشعوره، فالقصيدة ليست إلا رسالة مرسلة إلى ابن عمه يستنجده لذا جاءت القصيدة تقليدية البناء تحذو حذو السابقين فجاءت صورها

(١) البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر أ.د/ على على صبح: ص ٣٤. الناشر المكتبة الأزهرية للتراث١٤٠٦هـ ١٩٩٦م.

(٢) ديوان أبو فراس ص٢٦

أيضا تقليدية خاصة وأن الغزل فى مطلعها لمجرد التقليد فهى أشبه بقصائد المدح التى غلب عليها منهجا محدداً فنزعة التقليد واضحة، وإذا بحثنا عن بعد رمزى فى الأبيات فإننا نلاحظ تعلق الشاعر بأوصاف البيئة العربية التى طال شوقه وحنينه إليها فهو يتشوق إلى دياره وإن بدا الكلام عن محبوبته.

ونراه لا يبتعد كثيراً عن العناصر الحسية فى وصفه للأشياء فيفتخر بشعره الذى هو ألذ من الماء البارد وأكثر جمالاً من اللؤلؤ المنثور، فيقول:

**بقواف ألذ من بارد الما ء ولفظ كاللؤلؤ المنثور**(١)

والصورة تكشف عن خيلاء وغرور دأبت نفس أبى فراس على ترديده، وقد استخدم لعناصر تشكيل هذه الصورة الحواس الذوقية والبصرية، ولعل صورة ألذ من بارد الماء تكشف عن قيمة شعورية فى تجربة الشاعر، وهى أنه شديد العطش لأن يفديه ابن عمه من أسره، فرغم تقليدية الصورة إلا أن وراء اختيارها دافع شعورى يؤكد صدق التجربة عنده.

ومثل هذا الضرب من التصوير الذى يعتمد على التشبيه نراه فى قوله:

**أَنتَ سَماءٌ وَنَحنُ أَنجُمُها أَنتَ بِلادٌ وَنَحنُ أَجبُلُها**
**أَنتَ سَحابٌ وَنَحنُ وابِلُهُ أَنتَ يَمينٌ وَنَحنُ أَنمُلُها**(٢)

فالصور المتتابعة تكشف عن علاقة شعورية أحس بها الشاعر إحساساً بالغاً، وهى رغم تتابعها إلا أنها تعد تأكيداً لمعنى واحد وإحساس واحد، وهو الكشف عما بينه وبين ابن عمه من علاقات لا تنتهى، فليست سماء بدون نجوم (تنيرها)ولا بلاد بلا جبال (تحميها) ولا سحاب إلا وينزل غيثاً (حتى يتحقق معنى العطاء) ولا يد بدون أنامل حتى تقوم بالفعل، وما هو إلا هذه الأشياء بالنسبة لسيف الدولة، فالعلاقة النفسية بين عناصر التصوير والشاعر واضحة.

ونراه يعطينا صورة تشبيهية للزهو الذى عرف به وهى سمة ليست له وحده بل لحصانه، فيقول:

**وَمُهري لايَمَسُّ الأَرضَ زَهواً كَأَنَّ تُرابَها قُطبُ النِبالِ**(١)

(١) السابق ص ٧٠
(٢) ديوان أبو فراس ص ١٣٣

فيعتمد فى هذه الصورة على العناصر الحركية والأداة كأن ذات ظلال وأبعاد تصويرية تتمثل فى تلاشى الفوارق بين المشبه والمشبه به، وهكذا نرى التشبيه عن أبى فراس يتسم بالكشف عن الخصائص الشعورية لديه.

وقد استخدم الاستعارة فى قوله:

**وَأَبطَأَ عَنّي وَالمَنايا سَريعَةٌ وَلِلمَوتِ ظُفرٌ قَد أَطَلَّ وَنابُ**(٢)

ورغم تقليدية الصورة التى تأثر فيها بالهذلى حين قال (وإذ المنية أنشبت أظفارها) إلا أنها كشفت بوضوح عن إحساس الشاعر، فنرى صورة تقاعس سيف الدولة عن نجدته فى مقابل المنايا السريعة، وهذه المقابلة كشفت عن مرارة وإحساس عميق بالألم، ولم يكتف بهذه المقابلة وإنما عمد إلى التشخيص فجعل المنية وحشاً فاتكاً، وقد أضاف إلى صورة الوحش صورة أطل ليجعل الأمر قريباً منه، وليوضح مدى الأزمة التى يعانيها.

وقد استخدم أسلوب الكناية والرمز، من ذلك قوله مصوراً ملازمته للحرب:

**فويلك من للحرب إن لم نكن لها ومن ذا الذى يمسى يضحى لها تربا**(٣)

وهى كناية عن ممارسة قومه لأعمال الحرب حتى صاروا لها رفقاء.

ومن ذلك قوله مصوراً ما بينه وبين سيف الدولة من ود:

**خالِصُ الوِدِّ صادِقُ الوَعدِ أُنسي في حُضوري مُحافِظٌ في غِيابي**
**كُلَّ يَومٍ يُهدي إِلَيَّ رِياضاً جادَها فِكرُهُ بِغَيثٍ سَكوبِ** (٤)

وهى صورة رائعة الجمال اعتمد فيها الشاعر على تصوير عقله بالروضة الغناء التى يسعدها الغيث .

ومن الصور الكنائية أيضا قوله:

**متى تخلف الأيام مثلى لكم فتى طويل نجاد السيف رحب المقلد**(٥)

---

(١) السابق ص ١٢٩وقطب النبال هى نصل السهام وهى حديدة فى مقدمة السهام.
(٢) السابق ص ١٥.
(٣) ديوان أبو فراس ص ٢٧.
(٤) السابق ص٢٦، ٢٧.
(٥) السابق ص ٥١

وهى كناية عن طوله وضخامته التى تلقى عليه وقاراً وهيبة.

ومن ذلك أيضاً.

**وساحبة الأذيال نحوى لقيتها فلم يلقها جافى اللقاء ولا وعر** (١)

فساحبة الأذيال كناية عن موصوف وهى المرأة الذليلة الضعيفة التى أتته تطلب العفو، ومن الصور الرامزة البديعة قوله:

**وَلَو أَنَّني أَكنَنتُهُ في جَوانِحي لأورَقَ ما بَينَ الضُلوعِ وَفَرَّعا**(٢)

وهى كناية عن عطفه وسعة صدره.

والملاحظ أن هذه الصور الرامزة لا تبتعد عن كونها كناية عن موصوف أو صفة فليس وراءها عمق الرمز الذى نراه فى الشعر الحديث ورغم هذا فهى معبرة عن شعوره.

**ب . المعتمد**

كان للمأساة التى تعرض لها المعتمد أثر بين فى رسم لوحات تصويرية تنبع من أعماق نفسه الذبيحة، فغلب فى لوحاته تصوير الدموع والحزن وبكاء الدماء، وقد وظف التشبيه والاستعارة والكناية لرسم أبعاد هذه المشاعر فيصور القيد الذى يرى فيه ذلاً لايعدله ذل فيقول:

**تعطف فى ساقى تعطف أرقم يساورها عضاً بأنياب ضيغم**(٣)

والصورة هنا رائعة فى رسم أبعاد نفسه المكلومة فالقيد يلتف حول رجليه كالثعبان، ولا يكتفى بهذا بل يتابع العض بأنياب كأنياب الأسد ولا يخفى ما فى الصورة من علاقة حسية بين المشبه(القيد) والمشبه به (الثعبان) فضلاً عن إضافة الظلال النفسية الناتجة عن ممارسة العض، والشاعر هنا يستخدم عناصر حركية فى رسم أبعاد وعناصر الصورة، وهذا مما زاد فى جمال الصورة ودقتها، وتتجلى أيضا براعة الصورة فيها، فقد جاءت بديعة من حسن النظم والترتيب، فقدم تعطف

(١) السابق ص ٦٦.

(٢) السابق ص ١٠٩.

(٣) ديوان المعتمد بن عباد ص ١١١.

لشدة إحساسه بالألم، وقوله فى ساقى يفيد الظرفية مما يؤكد تعمق الألم فى داخله، ولا يتحقق هذا المعنى لو قال على ساقى.

وصورة الثعبان هذه كانت أكثر التصاقاً بوجدان المعتمد فى حديثه عن القيد فيقول:

**وقد كان كالثعبان رمحك فى الوغى فغدا عليك القيد كالثعبان** (١)

وقد جمع بين صورة القيد والرمح وتشبيههما بالثعبان لإضافة بعض الملامح التصويرية الحسية والمعنوية مثل الاستقامة فى الحركة والسرعة، أما العلاقة المعنوية فتتحقق فى الأثر الناتج عن المشبه(الرمح) و(الثعبان) وهذا الأثر هو الموت، رغم إن كان الرمح أسرع فعلا وأكثر حزماً، والمعتمد يحاول أن يأتى بصورة مقابلة تبين ما كان له فى الماضى من قوة (فرمحه كالثعبان) وما هو عليه اليوم من ذل (فقيده كالثعبان) فكأن كل ما فى الحياة تكاتف ليكون عوناً عليه.

ونراه يصور بطولته وشجاعته إثر ثورة ابنه عبد الجبار، فيقول:

**كأن الفوارس فيه ليوث تراعى فرائسها فى عرين** (٢)

وقد أضاف المعتمد إلى صورة التشبيه بما تحمله من تقليد صورة جديدة تنبعث من الصورة الإيحائية فى قوله:تراعى، فقد صورت الترقب والتطلع إلى الفريسة وهذا ما يفعله الفرسان.

ويأتى أيضا بصورة تقليدية أيضاً يصف من خلالها قوة يوسف بن تاشفين فيقول:

**رأينا السيوف ضحى كالنجو م، وكالليل ذاك الغبار المثارا** (٣)

والصورة واضحة التأثر بصورة بشار كأن مثار النقع فوق رؤسنا..... ورغم ما بينهما من فوارق نابعة من تعمق صورة بشار واتساعها وطريقة تركيبها وابتكارها، فصورة المعتمد تعتمد على التقليد، لذا قال رأينا مما يدل على عدم مشاركته فى المعركة وأنه شاهدها من بعيد، وهذا يدل على أن صوره فى رسم ملامح شجاعته

(١) السابق ص ١١٥.
(٢) ديوان المعتمد بن عباد ص ١١٥.
(٣) السابق ص ٩٨.

أضعف من صوره فى رسم آلام السجن، فقد أحسن فى تصوير النكبة وأثرها على عناصر الطبيعة فنرى القصور تبكى، يقول:

**بَكى المُبارَكُ في إثرِ ابن عَبّادِ بَكى عَلى أَثَر غِزلانٍ وَآسادِ**(١)

فقد شبه القصر بالإنسان ثم حذف المشبه ورمز إليه بشئ من لوازمه(البكاء) وتناسى التشبيه وادعى أن المشبه من جنس المشبه به على سبيل الاستعارة المكنية، وأروع من هذا وأجمل قوله مخاطباً قبره:

**حَتّى يَجودَكَ دَمعُ الطَلّ مُنهَمِراً مِن أَعيُن الزَهرِ لم تَبخَل بِإِسعادِ** (٢)

ويعمد إلى الاستعارة التصريحية فى تصوير هذه الآلام فيقول:

**وَلَم أَكُن قَبلَ ذاكَ النَعشِ أَعلَمُهُ أَنَّ الجِبال تَهادى فَوقَ أَعوادِ**(٣)

وجمال هذا اللون التصويرى يتمثل فى مقدرة الشاعر على خلق حالة من المشاركة بينه وبين عناصر الكون وهذا مما أضفى على شعره بعض العمق، فنراه يقول:

**وَكَم مِن مِنبَرٍ حَنّت إِلَيهِ أَعالي مُرتَقاهُ وَمَن سَرير**(٤)

وقد استخدم بعض الصور الموحية التى تفيض بالإيحاء والإشعاع والظلال من ذلك قوله:

**قضى وطراً من أهله كل نازح وكر يدوى علة فى الجوارح** (٥)

فصورة يداوى تعكس الظلال النفسية التى يستشعرها المعتمد، فهو فى أمس الحاجة إلى الدواء، ورغم هذا فقد أخطأ فى صياغة الصورة فى قوله:

**يعيد على سمعى الحديد نشيده ثقيلا فتبكى العين بالجس والنقرِ** (٦)

فليس من المقبول أن يكون صوت الحديد والقيود نشيداً .

وقد استخدم أيضاً الكناية كوسيلة تصويرية يرمز بها لأمر ما، من ذلك قوله فى تصوير الألم الذى أبكاه دمعاً ممتزجاً بدم، فقال:

---

(١) السابق ص ٩٥
(٢) السابق ص ٩٦
(٣) السابق ص ٩٦
(٤) ديوان المعتمد ص ١٠٢
(٥) السابق ص ٩٣
(٦) السابق ص ١٠٦(والجس الدمع الجامد والنقر الدمع المنهمر)

**خَرَجوا لِيَستَسقوا فَقُلتُ لَهُم دَمعي يَنوبُ لَكُم عَن الأَنواءِ**
**قالوا حقيق في دَمعِكَ مُقنِعٌ لَكِنَّها مَمزوجَةٌ بِدماءِ** (١)

وهى كناية عن الحزن ومن ذلك قوله فى تصوير غدر الحياة:

**فَأَوّلُها رَجاءٌ مِن سَرابٍ وَآخِرُها رِداءٌ مِن تُرابِ** (٢)

وهى كناية عن ضياع آماله فى الدنيا، وقد استطاع المعتمد أن يوظف الأدوات التى تثير الوجدان، فأجاد حين جعل تراب القبر رداءً حين يقابل بين آمال الحياة فى (أولها) وأنها تصير سراباً (فى آخرها)، ومن صور الكناية أيضاً:

**أَلا عَصَمَ اللهُ القَطا في فِراخِها فَإِنَّ فِراخي خانَها الماءُ وَالظِلُّ** (٣)

وبعد فقد أجاد المعتمد فى تصوير ألم الفجيعة وأعطانا صوراً تكشف عن مكنونه وشعوره الدفين.

وقد رسم شاعرينا لوحات تصويرية غاية فى الروعة والجمال وتحمل كثيراً من ملامح العاطفة والوجدان عندهما، ورغم هذا فلم نر أحدهما يعطينا صورة كلية متكاملة العناصر والجزئيات وإنما كانت زفراتهما النفسية تفيض من خلال صور جزئية غاية فى الروعة والجمال جعلتهما من أهم شعراء العربية فى تصوير الاغتراب.

## ثالثاً: الموسيقى الشعرية

للموسيقى الشعرية دور هام فى إثراء الجوانب الفنية فى القصيدة، خاصة وأن " العنصر الموسيقى جزء من جوهر الروح الشعرية، وهو جزء غير متوفر فى النثر وإذا توفر فيه أصبح شعراً، وهناك حد أدنى لهذا التوفر إذ لابد من التزام نظام موسيقى مقصود له أبعاده المرسومة فى الفقرة الشعرية الواحدة طالت أو قصرت " (٤)

(١) السابق ص ٨٩
(٢) السابق ص ٩٣
(٣) السابق ص ١١١
(٤)الحوار الأدبى حول الشعر. د/ محمد أبو الأنوار ص ٥٢٨. طبعة المعارف الطبعة الثانية سنة١٩٨٧ م

ويجب التنبيه فى قول الدكتور محمد أبو الأنوار إلى أنه لا ترقى الموسيقى وحدها لتنقل النثر إلى الشعر اللهم إلا إذا كان النثر وجدانياً.

وإذا أردنا أن ننظر إلى خصوصية الموسيقى فى العصر العباسى الثانى والعصر الأندلسى نجد أن الشعراء مالوا إلى الأوزان السريعة الخفيفة التى تناسب حياة الحضارة [1] ورغم أن التماس المبررات لهذه الظاهرة ضرب من الاحتمال والظن فاختيار البحور ومناسبتها للأعراض لا ترجع إلى عوامل ثابتة قدر رجوعها إلى انفعالات الشاعر واحاسيسه، كما يلاحظ أن الأندلسين مالوا إلى تقليد المشارقة فى الموسيقى كما قلدوهم من قبل فى الموضوعات.

وسوف نطالع نوعية التشكيل الموسيقى عند شاعرينا:

**أ. أبو فراس**

التزم أبو فراس بالنظام الموسيقى الخليلى فلم يخرج عنه، والبيان التالى يوضح استخدامه للبحور التامة والمجزوءة ونسبة ورودها فى رومياته.

| البحر | عدد القصائد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| الطويل | ١٤ | %٣٨,٨ |
| الوافر | ٦ | %١٦,٦ |
| الكامل | ٣ | %٨,٣ |
| مجزوء الكامل | ٣ | %٨,٣ |
| البسيط | ٣ | %٨,٣ |
| الخفيف | ٢ | %٥,٥ |
| المتقارب | ١ | %٢,٧ |
| السريع | ١ | %٢,٧ |
| المنسرح | ١ | %٢,٧ |
| المقتضب | ١ | %٢,٧ |
| مجزوء الرمل | ١ | %٢,٧ |

(١) مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة ٩٠٣/٢ عدد ١٦ سنة ١٤٢٨ ٢٠٠٧ م

مجموع القصائد ٣٦ قصيدة

والملاحظ أنه استخدم البحور التامة أكثر من البحور المجزوءة.

وقد دار خلاف حول علاقة البنية الإيقاعية ونوعية اختيارها والأغراض الشعرية، وقد أشار قديماً إلى هذه العلاقة أبو هلال العسكرى فى كتابه الصناعتين فقال " من المعانى ما تتمكن نظمه فى قافية ولا تتمكن منه فى أخرى، أو تكون هذه أقرب طريقاً وأيسر كلفة منه فى تلك " (١)

وأوضح هذه العلاقة أيضاً حازم القرطاجنى فقال:" ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة وما يقصد به الهزل والرشاقة، ومنها ما يقصد به البهاء والتفخيم وما يقصد به الصغار والتحقير، وجب أن تحاكى تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس"(٢)

وقد رفض عدد من النقاد وجود هذه العلاقة بين الأوزان والأغراض الشعرية منهم الدكتور عز الدين إسماعيل، يقول: " أن الربط بين بعض الأوزان وحالة شعورية بذاتها لا يمكن الاطمئنان إليه إذ من السهل أن تعبر عن حزنك فى وزن وعن سرورك فى الوزن نفسه، وعملية استقراء بسيطة تؤكد لنا هذا النقد "(٣)

وقد اعتدل الدكتور محمد غنيمى فى رؤيته لمعالجة هذه القضية حين قال" والحق أن القدماء من العرب لن يتخذوا لكل موضوع من هذه الموضوعات وزنا خاصا أو بحرا خاصامن بحور الشعر القديمة فكانوا يمدحون ويفاخرون ويتغازلون فى كل بحور الشعر، وتكاد تتفق المعلقات فى موضوعها وقد نظمت من الطويل والبسيط والخفيف والوافر والكامل ومراثيهم فى المفضليات جاءت من الكامل والطويل والبسيط والسريع والخفيف والأمر بعد ذلك للشاعر فقد يقع على البحر ذى التفاعيل الكثيرة فى حالات الحزن لاتساع مقاطعه وكلماته لأناته

(١) الصناعتين أبو هلال العسكرى ص ١٤٥

(٢)منهاج البلغاء وسراج الأدباء. حازم القرطاجنى ص ٢٦٦ تحقيق محمد الحبيب الخوجة تونس ١٩٦٦م

(٣) الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/ عز الدين اسماعيل ص ٥٤ دار الفكر العربى.

وشكواه محبا كان أو راثيا، أو لملاءمة موسيقاه لأغراضه الجدية الرزينة من فخر وحماسة ودعوة إلى قتال وما إليها، ولهذا كانت البحور الغالبة فى الأغراض القديمة هى الطويل والكامل والبسيط والوافر، وقد تنفعل النفس أو تطرب لداع مفاجئ فتلجأ إلى البحور المجزوءة أو إلى بحور الخفيف والمتقارب والرمل وليس هذا سوى تقرير مجملا يقوم مقامه قاعدة وكل بحر بعد ذلك قالب عام يستطيع الشاعر أن يضفى عليه الصبغة التى يريد بما يصب فيه من عبارات وكلمات ذات طابع خاص"(١)

وقد لاحظنا أن أبى فراس يميل إلى ختيار البحور التامة والسبب فى ذل اتساع هذه البحور للتعبير عن حالات الحزن والألم الذى يعتصر قلبه، فالآهات والآلام تتتابع فى البحور الممتدة التى تساعد على إبراز هذا اللون من العواطف، وقد كثر عنده توظيف بحر الطويل وقد ذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن بحر الطويل أكثر البحور وروداً فى شعر القدماء وهذه الإحصائية تؤكد هذا الرأى.

ولننظر إلى ملامح امتداد النفس الشعرى عند أبى فراس فى إحدى رومياته الرائعة وهى من بحر الطويل يقول:

**أَراكَ عَصِيَّ الدَمعِ شيمَتُكَ الصَبرُ أَما لِلهَوى نَهيٌ عَلَيكَ وَلا أَمرُ**
**إِذا اللَيلُ أَضواني بَسَطتُ يَدَ الهَوى وَأَذلَلتُ دَمعاً مِن خَلائِقِهِ الكِبرُ**
**وَإِنّي لَنَزّالٌ بِكُلِّ مَخــوفَةٍ كَثيرٌ إِلى نُزّالِها النَظَرُ الشَزرُ**(٢)

فمشاعر الألم تعتصر قلبه فى أسره وفراق محبوبته التى هى رمز لبلاده، جعله يئن ويبكى فى صوت ممتد ونبرات طويلة من بحر الطويل الذى استوعب قدراً كبيراً من الانفعالات المتدفقة الممتدة.

ونلاحظ هذا أيضا فى قصيدته

**دَعوتُكَ لِلجَفنِ القَريحِ المُسَهَّدِ لَدَيَّ وَلِلنَومِ القَليلِ المُشَرَّدِ**
**وَما ذاكَ بُخلاً بِالحَياةِ وَإِنَّها لأَوَّلُ مَبذولٍ لِأَوَّلِ مُجتَدِ**

(١) النقد الأدبى الحديث د/محمد غنيمى هلال ص ٤٦٨ نهضة مصر للطباعة والنشر

(٢) ديوان أبو فراس ص ٢٤

**وَما الأَسرُ مِمّا ضِقتُ ذَرعاً بِحَملِهِ وَما الخَطبُ مِمّا أَن أَقولَ لَهُ قَدي**[1]

وهى أيضا من بحر الطويل.

أما البحور المجزوءة فقد جاءت قليلة وهى أيضا جاءت مناسبة للتجربة والعاطفة فنراه فى قصيدته التى مطلعها:

**إِن زُرتُ خَرشَنَةً أَسيرا فَلَكَم أَحَطتُ بِها مُغيرا**
**وَلَقَد رَأَيتُ النارَ تَنـ تَهِبُ المَنازِلَ وَالقُصورا**
**وَلَقَد رَأَيتُ السَبيَ يُجـ لَبُ نَحوَنا حُوّاً وَحورا**[2]

فعاطفته سريعة فهو يصور حالة الدمار التى حلت بأعدائه من الروم فى مدينة خرشنة فنرى صورة النار تلتهم المنازل والقصور فهذا التدافع يتناسب مع إيقاع بحر الكامل المجزوء.

وبهذا نرى أن الموسيقى عنده منسجمة مع الاغتراب ومعانيه.

أما القوافى فقد جاءت روياته كلها على حروف روى شائعة فى الديوان الشعرى العربى، فلم يشأ أن يأتى بالغريب من القوافى من مثل حرف الظاء والخاء مثلاً وإنما آثر السهولة وهذا يؤكد أن غاية الحمدانى هى الفكرة وترجمتها فى قالب تصويرى تعبيرى.

فقد استخدم حرف الباء فى إحدى عشرة قصيدة، واللام فى سبع قصائد، والراء فى خمس قصائد، والدال فى قصيدتين، وكذا الميم، والسين فى قصيدة واحدة وكذا العين والياء.

وبعد فملامح الموسيقى الخارجية عند أبى فراس لم تخرج عن الإطار التقليدى، وقد استخدم أبو فراس بعض ملامح الموسيقى الداخلية التى تحمل جانباً من التصوير البديع لمشاعره من ذلك الطباق فى قوله:

**فَأَظمَأُ حَتّى تَرتَوي البيضُ وَالقَنا وَأَسغَبُ حَتّى يَشبَعَ الذِئبُ وَالنَسرُ**[3]

(١) السابق ص ٥٠
(٢) السابق ص ٩٧
(٣) ديوان أبو فراس ص٦٥، ٦٦

فهى صورة رائعة رامزة تصور كريم خصاله، فأظمأ تقابل ترتوى وأسغب تقابل يشبع، وصورة الشجاعة ورسم ملامح القوة بادية فيها بوضوح فالظمأء يلازمه حتى ترتوى السيوف من دماء الأعداء، وكذلك صورة أسغب ويشبع، فهو يشبع بموت من تشبع بلحومهم الذئاب، وهذا كله يدل على رمزية الصورة والإيقاع الموسيقى فى الصورة فى الطباق زاد من عمق الصورة ودلالتها، ومن الطباق قوله:

**هُمُ يُطفِؤونَ المَجدَ وَاللهُ موقِدٌ وَكَم يَنقُصونَ الفَضلَ وَاللهُ واهِبُ**(١)

وقوله: **لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنا بها أسداً وكنت بها كلبا**(٢)

وقوله: **ونحن أناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر**(٣)

وقوله: **وفيت وفى بعض الوفاء مذلة لإنسانة فى الحى شيمتها الغدر**(٤)

وقد عمد أيضاً إلى التصريع باعتباره أداة موسيقية داخلية فقال:

**أَراكَ عَصِيَّ الدَمعِ شيمَتُكَ الصَبرُ أَما لِلهَوى نَهيٌ عَلَيكَ وَلا أَمرُ**(٥)

وعمد أيضاً إلى التقفية:

**دَعوتُكَ لِلجَفنِ القَريحِ المُسَهَّدِ لَدَيَّ وَلِلنَومِ القَليلِ المُشَرَّدِ**(٦)

واستخدم أيضاً حسن التقسيم فى قوله:

**مُصابي جَليلٌ وَالعَزاءُ جَميلُ وَظَنّي بِأَنَّ اللَهَ سَوفَ يُديلُ**(٧)

والتكرار أيضاً له أثر موسيقى فعال حيث أن الشاعر يسلط من خلال إيقاع الكلمات الكررة وطريقة تكرارها الضوء على شعور ما أو عاطفة خاصة وقد سبق الحديث عنه فى سالف الدراسة.

**ب . المعتمد.**

(١) السابق ص ٢٤
(٢) السابق ص ٢٧
(٣) السابق ص ٦٧
(٤) السابق ص ٦٥
(٥) ديوان أبو فراس ص ٦٤
(٦) السابق ص ٥٠
(٧) السابق ص ١٣٥

وقد استخدم المعتمد أيضاً البحور التامة أكثر من البحور المجزوءة وهذا يؤكد أن موضوع الاغتراب والأسر يحتاج إلى الأوزان الطويلة الممتدة. والجدول التالى يوضح البحور التى استخدمها المعتمد فى أشعاره:

| البحر | عدد القصائد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| الطويل | ١١ | %٢٨ |
| البسيط | ٨ | %٢٠ |
| الكامل | ٥ | %١٢,٨ |
| مجزوء الكامل | ١ | %٢,٥ |
| الوافر | ٣ | %٧,٦ |
| المتقارب | ٣ | %٧,٦ |
| الرمل | ٢ | %٥,١ |
| مجزوء الرمل | ١ | %٢,٥ |
| الخيف | ٢ | %٥,١ |
| السريع | ٢ | %٥,١ |
| مجزوء الرجز | ١ | %٢,٥ |

مجموع القصائد ٣٩ قصيدة

فآلام المعتمد وتوجعاته هى التى جعلت لسانه فياضا ينسال بالمعانى ويتدفق بالألفاظ التى تحمل الآهات والأحزان الدفينة، وقد استخدم بحر الطويل مثلما رأينا عند أبى فراس ولم يرد عنده إلا ثلاثة بحور مجزوؤة، فنراه يوظف موسيقى بحر الطويل قائلاً:

**يَقُولونَ صَبراً لا سَبيلَ إِلى الصَبرِ سَأَبكي وَأَبكي ما تَطاوَل مِن عُمري**
**هَوى الكَوكَبانِ الفَتحُ ثُمَّ شَقيقُهُ يَزيدُ فَهَل بَعدَ الكَواكِب مِن صَبرِ**
**نَرى زُهرَها في مأتمٍ كُلَّ لَيلَةٍ يُخَمّشنَ لَهفاً وَسطَهُ صَفحَةَ البَدرِ**[1]

(١) ديوان المعتمد ص ١٠٥

فنرى حروف المد تتوالى راسمة حالة من الامتداد والطول الذى عانى منه الشاعر بين جدران سجنه، فهذه الموسيقى الممتدة أجدى فى رسم صورة الألم الذى يشعر به المعتمد.

ونرى البحور المجزوءة عنده موظفة فى مكانها، فحينما حلت الكارثة بملكه كان السقوط مفاجئاً كاسراً فقال:

**لما تماسكت الدموع وتنبه القلب الصديع**
**قالوا الخُضوعُ سياسَةٌ فليبدُ مِنك لَهُم خُضوعُ**(١)

ولعل إيقاع حرف العين رسم الصورة بصورة جيدة، وهذه القصيدة أطول من القصيدتين الأخريتين مما يدلل على عزوفه عن البحور المجزوء.

أما القوافى فقد نوع فى قوافيه بوضوح ؛ربما لآن قصائده قصيرة، بل إن أغلبها مقطعات لا تتعدى الخمس أبيات، مما يتيح له استخدام حرف روى قليلة الشيوع فى الشعر العربى، وهاك بيانا يوضح ترتيب القوافى عنده:الراء ٨ قصائد، والنون والدال ٥ قصائد، والباء والميم ٤ قصائد، والفاء ٣ قصائد أما حروف الهمزة والحاء والعين والقاف فقد نظم على كل حرف قصيدتين، أما الباء فلم ينظم عليها إلا مقطوعة واحدة .

ورغم أن المعتمد كان يكتب أبياتاً قليلة العدد، إلا أنها كانت تحمل زفرات حارقة تعبر عن ألمه لذا، اهتم بالمضمون ولم يهتم بإبراز النواحى الموسيقية التى تبين فنه الشعرى، ورغم هذا بدت بعض ألوان الموسيقى الداخلية مثل الطباق، فقال:

**قضى وترا من أهله كل نازح وكر يداوى علة فى الجوارح** (٢)

وقوله: **قد كان دهرك إذ تأمره ممتثلاً فردك الدهر منهياً ومأمورا** (٣)

واستخدم التصريع فى قوله:

**كلامك حر والكلام غلام وسحر ولكن ليس فيه حرام**(١)

(١) السابق ص ٨٨.
(٢) ديوان المعتمد بن عباد ص ٩٣.
(٣) السابق ص ١٠١.

واستخدم التقفية فى قوله:

**لو أستطيع عن التزويد بالذهب فعلت لكن عدانى طارق النوب** (٢)

وملامح الجودة فى هذا اللون التصويرى الموسيقى بارعة عند شاعرينا حيث كشفا عن وجدانهما وعاطفتهما بصورة مميزة.

## الخاتمة

١. وقد امتاز شعر الاغتراب . غالباً بصدق العاطفة، وأصالة التجربة فى الديوان الشعرى العربى.

٢. من أهم ملامح الفخر عند أبى فراس تعاليه على أعدائه، والكشف عن صفاته وأخلاقه . التى كثيراً ما يتصف بها العربى . من حيث كونه فارساً وشاعراً، وفخره بأهله وقومه، وهو فخر لا يبتعد كثيراً عن ملامح الفخر العربى فى الجاهلية، كما ربط بين فخره بنفسه ومدحه لسيف الدولة، كما حرص على تعليل أسره ؛حتى لا يتهم بالضعف، كما ألهب أعداءه بكلماته الموجعة، أما المعتمد فرغم فخره بشجاعته إلا أنها تصور مشاعر ملك قد انهار ملكه وتحطم عرشه، لذا كان شحيحاً فى هذا الوصف، مقلاً فى تصوير ملامح هذه الفروسية، ، من هنا جاءت أبيات الشجاعة والفروسية عنده قليلة بالنسبة لأبى فراس الذى عنى عناية بالغة بتصوير فروسيته النادرة.

٣. نبعت معانى الصبر عند أبى فراس من منبع واحد وهو الفخر بهذا الصبر، مما يجعلنا نقول بأنه امتداد لعنصر الفخر، أما المعتمد فصبره كصبر من ينتظر الموت، لذا اختلفت المعالجة بين شاعرينا اختلافا ظاهراً، فالأول مازال ملك قومه قائما، أما الآخر: فقد زال ملكه، من هنا اختلفت أصداء التجربة.

---

(١) السابق ص ١١٣.

(٢) السابق ص ٩٢.

٤. رسم الحمدانى صورة مؤلمة من الشكوى على لسان ملك فارس يتسم بالعزة والشأن الرفيع الذى يأبى أن يستكين أو يذل، أما المعتمد فقد كان أكثر أنيناً فى شكواه، بل إن معانى الشكوى والألم كانت من أكثر المعانى وروداً فى شعر الاسر عنده، كما أجاد المعتمد حين أوضح المفارقة الشديدة بين الماضى والحاضر للكشف عن مدى صعوبة التجربة التى يقاسيها فى ظلال هذا السجن.

٥. أن أبا فراس كان يستنجد سيف الدولة وكأنه يطلب العون من نفسه لنفسه أو يطلب السند من يده لبدنه، وقد ساعده على استنجاده أن ملك آبائه مازال قائماً يستطيع أن يستنجد ملوكه وأمراءه، أما المعتمد فقد زالت دولته، ولم يعد هناك قوة يَطلب منها العون، لذا فقد اقتضب وأوجز فى عرض هذا المعنى.

٦. اتسم أبو فراس بسهولة الألفاظ والأساليب، أما المعتمد فقد كان أكثر غموضاً والتواءاً، فلا نرى الانسيابية أو السهولة التعبيرية التى رأيناها فى شعر الحمدانى.

٧. كان أبو فراس أميل إلى السليقة والطبع فى معالجته للألفاظ من المعتمد الذى كان أكثر تقليداً للمشارقة.

٨. اقتباسات المعتمد لا ترقى لأن تكون إضافة للتجربة الشعرية، وإنما هى ألفاظ تتشابه بينه وبين من تناولوا المعنى قبله.

٩. اتسمت الصورة عند المعتمد بالتعمق فى تصوير المأساة، رغم اتباعها للشعر المشرقى فى أغلب الأحوال، فغلب فى لوحاته تصوير الدموع والحزن وبكاء الدماء، أما الحمدانى فقد اتسم التشبيه عنده . باعتباره أهم أنواع الصورة عنده . بالكشف عن الخصائص الشعورية لديه رغم تنوع الأغراض.

١٠. رسم شاعرينا صوراً جزئية غاية فى الروعة والجمال وتحمل كثيراً من ملامح العاطفة والوجدان عندهما، ورغم هذا فلم نر أحدهما يعطينا صورة كلية متكاملة العناصر والجزئيات، وإنما كانت زفراتهما النفسية تفيض من خلال صور جزئية.

١١. وملامح الجودة فى هذا اللون الموسيقى بارعة عند شاعرينا حيث كشفا عن وجدانهما وعاطفتهما بصورة مميزة.

# ثبت المصادر والمراجع

١. الأدب العربى فى الأندلس د/ عبد العزيز عتيق دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
٢. الاغتراب سيرة ومصطلح. محمود رجب. طبعة دار المعارف سنة ١٩٨٦م
٣. البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر أ.د/ على على صبح الناشر المكتبة الأزهرية للتراث١٤٠٦هـ ١٩٩٦م.
٤. حركة التجديد الشعرى فى المهجر بين النظرية والتطبيق.د/عبد الحكيم بلبع. طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠م.
٥. الحوار الأدبى حول الشعر. د/ محمد أبو الأنوار. طبعة المعارف الطبعة الثانية سنة١٩٨٧ م
٦. خزانة الأدب. للبغدادى تحقيق عبد السلام هارون دار الخانجى الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م
٧. ديوان ابن الرومى تحقيق د/حسين نصار طبعة دار الكتب والوثائق المصرية الطبعة الثالثة١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م
٨. ديوان الإمام الشافعى طبعة دار المنار ١٤١٠هـ ١٩٩٠م
٩. ديوان أبو فراس شرح وتقديم عباس عبد الساتر طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م
١٠. ديوان أبى محجن الثقفى، صنعه أبى هلال العسكرى تقديم د/ صلاح الدين المنجد طبعة دار الكتاب الجديد بيروت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٠م
١١. ديوان قيس بن الملوح رواية أبي بكر الوالبي دراسة وتعليق يسري عبدالغني طبعة دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولي ١٤١٠هـ /١٩٩٠م
١٢. ديوان المتنبى طبعة صادر
١٣. ديوان المعتمد بن عباد تحقيق د/ حامد عبد المجيد د/ أحمد لأحمد بدوى طبعة دار الكتب الطبعة الرابعة سنة ١٤٢٣هـ /٢٠٠٢م.
١٤. ديوان النابغة طبعة دار صادر

١٥. الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام تحقيق د/ إحسان عباس دار الثقافة بيروت سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م
١٦. شاعر بنى حمدان د/أحمد بدوى مطبعة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية سنة١٩٥٢م
١٧. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر الأنبارى تحقيق عبد السلام هارون دار المعارف الطبعة الخامسة
١٨. الشعر بين الرؤيا والتشكيل د/ عبد العزيز المقالح دار العودة بيروت.
١٩. الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د/ عز الدين اسماعيل دار الفكر العربى.
٢٠. الصناعتين أبو هلال العسكرى الطبعة الأولى سنة ١٣٢٠هـ
٢١. عن بناء القصيدة العربية الحديثة د/ على عشرى زايد. دار مرجان للطباعة. الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م.
٢٢.العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد طبعة دار الجيل بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ /١٩٨١م
٢٣. فى الأدب الأندلسى د/ جودت الركابى دار المعارف
٢٤. قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكة طبعة دار العلم للملايين الطبعة السابعة
٢٥. لسان العرب لابن منظور طبعة دار المعارف
٢٦. النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال طبعة نهضة مصر.
٢٧. منهاج البلغاء وسراج الأدباء. حازم القرطاجنى تحقيق محمد الحبيب الخوجة تونس ١٩٦٦م
٢٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق د/ إحسان عباس دار صادر بيروت
٢٩. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالمنصورة عدد ١٦ سنة ١٤٢٨ ٢٠٠٧ م

# فهرس

مقدمة ٧٤٩
تمهيد ٧٥٠
**الفصل الأول: الاغتراب بين أبى فراس والمعتمد رؤية موضوعية** ٧٥٥
أولاً: الفخر ٧٥٥
ثانياً: الصبر والتحمل ٧٧١
ثالثاً: الشكوى ٧٧٥
رابعاً: الاستنجاد ٧٨٤
**الفصل الثانى:الاغتراب بين أبى فراس والمعتمد رؤية فنية** ٧٨٩
أولاً: الألفاظ والأساليب ٧٨٩
ثانياً: الصورة الشعرية ٨٠٤
ثالثاً: الموسيقى الشعرية ٨١٢
الخاتمة. ٨٢٠
المصادر والمراجع. ٨٢٢
فهرس الموضوعات ٨٢٤